

BOBST LIBRARY

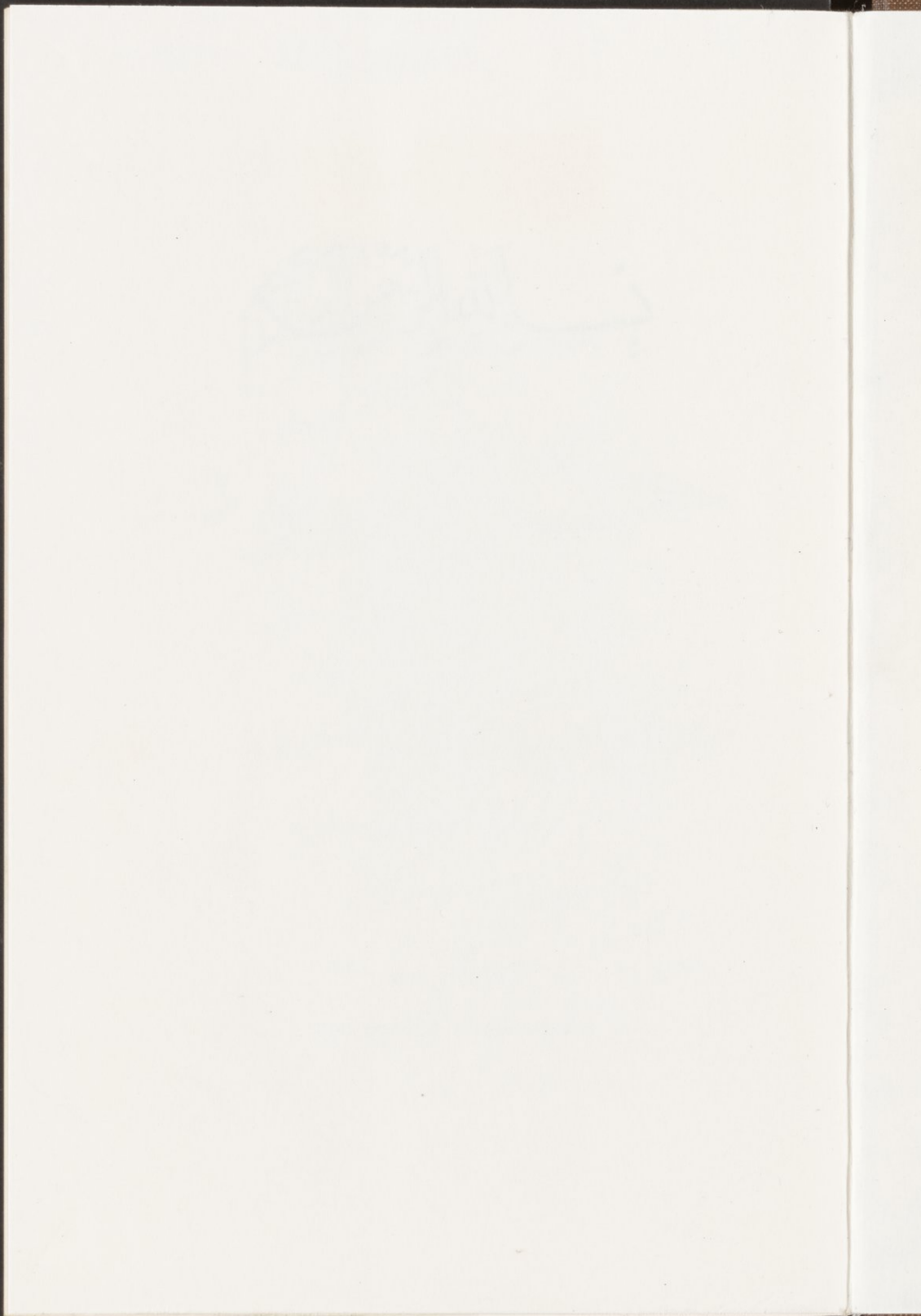


3 1142 01381 6809



Elmer Holmes
Bobst Library

New York
University





Husayn, Muhammad 'Alī
/Suqūt Hizb Tūdah/

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حزب توده

عرض تحلیلی کتاب تاریخ الحزب السیوسی ایرانی
و انبیاة امام الاسلام



محمد علی حسین

استاد مساعد فی جامعة طهران



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

Husayn, Muhammad 'Alī

/Suqūt Hizb Tūdah/

سقوط حزب توده

عرض تحليسي لتاريخ الحزب الشيوعي الإيراني
وانهياره أمام الاسلام

محمد علي حسين

أستاذ مساعد في جامعة طهران

JQ
1789
.A8
H87
1984
C.1

APR 13 1989

٠١٣٨ | ٦٨٥٩



الكتاب: سقوط حزب توده.

إعداد: الأستاذ محمد علي حسين.

الناشر: منظمة الاعلام الاسلامي - قسم العلاقات الدولية

المطبعة: سهر - طهران - الجمهورية الاسلامية في ايران

عدد النسخ: ١٠,٠٠٠ نسخة

التاريخ: الطبعة الاولى: ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

لقد تميل الى ان لا يكون لها بغيره كالمثل بهوله لا مثله
 ولما قلنا ان كماله لم يزل في استحقاقه من صفاته
 كماله انما هو كماله
 بل كماله له لطفه في ان كماله انما هو كماله
 واما قوله ان كماله في كماله كماله كماله
 من صفاته

مقدمة الناشر:

قراءنا الاعزة:

لقد اهتز العالم لنبا الهجوم الذي شنه أبطال حرس الثورة
 الاسلامية على اوكار حزب العمالة الروسية «حزب توده» فاذا
 بها تنهار لأول وهلة بفعل ضربات جنود الاسلام، واهتز مرة ثانية
 عندما استمع الى الاعترافات الخطيرة التي ادلى بها زعماء التيار
 الشرقي في ايران و أعلنوا فيها عمالتهم وجاسوسيتهم الصريحة
 للاتحاد السوفيتي، وراحوا يكشفون فيها عن تشكيلاتهم وأوراقهم
 ومخططاتهم كلها...
 وهكذا لاحظنا:

أولاً- كيف اثبتت الثورة الاسلامية في ايران موقفها القوي ضد كل
 القوى الكافرة شرقيا وغربيا، وانتاجها الخط الاسلامي
 المستقل.

ثانياً- كيف فضح الشيوعيون الايرانيون الشيوعية العالمية بأسرها
 فاذا بها لا تعدو كونها غطاءً لطامع القوة الشرقية ونفوذها و
 استغلالها الشعوب عبر طرحها للشعارات البراقة. وبالتالي
 وضع للعالم كيف أن الشيوعية بلغت مرحلة الطريق
 المسدودة.

ثالثاً- كيف يقف الشعب بكل قطاعاته خلف ثورته الاسلامية و

قائده الامام؛ عاملا على ضرب الأوكار الخيانية مهما
تشابكت وتعقدت واختفت؛ فاذا بها تنهار لأول لحظة امام
جواهر الايمان الغاضبة.

رابعاً— كيف انهارت كل المؤامرات التي خطط لها الاستكبار
العالمي و فشلت الواحدة تلو الأخرى بفضل عناية الله و
رعايته للمؤمنين.

واننا اذ نقدم هذا الكتاب النافع لنامل ان يقوم القراء
الكرام بمتابعة فصوله الواحد تلو الآخر و الاعتبار الجيد بما فيه،
و بالتالي نامل ان يعجب من خدعته المبادئ الاحادية
— الاشتراكية او الرأسمالية — فيرجع الى طريق الصواب و
الحق و يعلم أن السنن المضلة لن تعود عليه بشيء، و أن سبيله
الحق هو سبيل الاسلام لا غير.

والله الموفق...

منظمة الاعلام الاسلامي
قسم العلاقات الدولية

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

«قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهَ
بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ
مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ
لَا يَشْعُرُونَ»

(النحل، ٢٦).

تاريخ حزب توده

• المرحلة الأولى: ١٩٢١ - ١٩٣٧.

• المرحلة الثانية: ١٩٤١ - ١٩٥٣.

• المرحلة الثالثة: ١٩٥٣ - ١٩٧٨.

• المرحلة الرابعة: ١٩٧٨ - ١٩٨٣.

الأحزاب الشيوعية في العالم الإسلامي خاصة تعاني من مشكلتين

أساسيتين:

الأولى: مشكلة التناقض بين أيديولوجيتها والأيديولوجية الإسلامية
المسالمة، والثانية: التناقض بين الاستقلال السياسي للبلاد التي تعيش فيها،
وتبعية هذه الأحزاب سياسيا للدولة الشيوعية «الأمم». هذا إلى جانب أزمة إعادة
التشرك فيها هذه الأحزاب مع كل الأحزاب الشيوعية في العالم، وتتمثل في
التراجع عن القوالب الماركسية اللينينية بسبب اصطدام هذه القوالب مع الواقع
التطبيقي والفترة الإسلامية.

العقبات التي تواجهها الشيوعية في العالم الإسلامي تتشامل كلها تعامل
الوعي الإسلامي بين المسلمين، وكلما ازداد نفوذ العلم الغربي في بلدان المسلمين.
فالشيوعيون يجدون في الفراغ الفكري والنقائدي الذي يربشه للمسلمون غير أرضية
لنشر أفكارهم، كما أنهم يجدون في جو الاستقلال لوعي أممنا الإسلامي غير
تاريخ حزب توده

تاريخ حزب توده

- المرحلة الأولى: ١٩٢١ - ١٩٣٧.
- المرحلة الثانية: ١٩٤١ - ١٩٥٣.
- المرحلة الثالثة: ١٩٥٣ - ١٩٧٨.
- المرحلة الرابعة: ١٩٧٨ - ١٩٨٣.

۴۴۵ بیاض و خونی

- رطوبت کاذب: ۷۶۶۱ - ۱۶۶۱.
- خنالتا کاذب: ۶۵۶۱ - ۱۵۶۱.
- خنالتا کاذب: ۸۷۶۱ - ۶۵۶۱.
- خنالتا کاذب: ۶۸۶۱ - ۸۷۶۱.

لقد تم إنشاء هذا الحزب في عام 1975، في عهد الرئيس محمد داود كاند، في أعقاب الثورة الإسلامية التي قادها الميرزا محمد باقر مصباح، والتي أطاحت بالملكية في إيران. وقد تم إنشاء هذا الحزب في أعقاب الثورة الإسلامية التي قادها الميرزا محمد باقر مصباح، والتي أطاحت بالملكية في إيران. وقد تم إنشاء هذا الحزب في أعقاب الثورة الإسلامية التي قادها الميرزا محمد باقر مصباح، والتي أطاحت بالملكية في إيران.

الأحزاب الشيوعية في العالم الاسلامي خاصة تعاني من مشكلتين أساسيتين:

الاولى: مشكلة التناقض بين ايديولوجيتها والايديولوجية الاسلامية السائدة، **والثانية:** التناقض بين الاستقلال السياسي للبلد الذي تعيش فيه، وتبعية هذه الأحزاب سياسيا للدولة الشيوعية «الأم». هذا الى جانب أزمة حادة تشترك فيها هذه الأحزاب مع كل الأحزاب الشيوعية في العالم، وتتمثل في التراجع عن القوالب الماركسية اللينينية بسبب اصطدام هذه القوالب مع الواقع التطبيقي والفترة الانسانية.

العقبات التي تواجهها الشيوعية في العالم الاسلامي تتضاءل كلما تتضاءل الوعي الاسلامي بين المسلمين، وكلما ازداد نفوذ العالم الغربي في بلدان المسلمين. فالشيوعيون يجدون في الفراغ الفكري والعقائدي الذي يعيشه المسلمون خيراً أرضية لنشر أفكارهم، كما انهم يجدون في جو الاستغلال الغربي لعالمنا الاسلامي خيراً فرصة لعرض اطروحتهم زاعمين أنها المنقذ للشعوب مما تعانيه من تسلط واستغلال.

ومن الطبيعي أن الشيوعية تحس بالافلاس كلما ازداد الوعي بين المسلمين، وتساعدت روح الاستقلال في نفوسهم. ومن هنا بدأت أوراق الحزب الشيوعي الايراني (توده) تحترق الواحدة بعد الاخرى في الدولة الاسلامية أمام شعار «لاشرقية - لاغربية - جمهورية اسلامية». حتى بلغ بهذا الحزب أن دخل مرحلة «الاعتراف بالوصول الى طريق مسدود، وبالحيانة الكبرى». وهي

المرحلة الاولى تأسيس الحزب الشيوعي الايراني

نشأت بدايات هذا الحزب في اوساط بعض الايرانيين القاطنين في منطقة باكو الروسية خلال اوائل هذا القرن^١، وظهر بعضهم في الحركة الدستورية (١٩٠٦-١٩٠٨) ليمثل الجناح (التقدمي) في هذه الحركة مقابل قيادة علماء الدين، التي كانت لها الكلمة الاولى في توجيه الجماهير. وجدير بالذكر أن هذا الجناح (التقدمي) كان يضم الشيوعيين من أمثال «سليمان ميرزا اسكندري»^٢. كما كان يضم عملاء بريطانيا المعروفين من أمثال «سيد حسن تقي زاده»، وكان يجمع بينهم العداء للتيار الديني في ايران.

بعد ثورة اكتوبر الروسية (١٩١٧) أنشأ هؤلاء الشيوعيون تنظيمًا أسموه «حزب العدالة» واتخذ من باكو مركزاً له، وفتح له فروعاً في المدن الايرانية، خاصة المدن الشمالية المجاورة لروسيا. ومن جملة مؤسسي هذا الحزب: جوادزاده (بيشه وري)، وحيدر عمواوغلي، واحسان الله خان، و آوانسيان، وجودت، ثم انضم اليهم كام بخش والدكتور جاويد. (سيأتي الحديث عن الشخص الأول في حركة الغابة وانفصال آذربايجان، وعن الثاني والثالث في حركة الغابة وعن الرابع والخامس في الاعترافات).

وبقرار من الأمية الثالثة (١٩٢١) تم تشكيل الحزب الشيوعي الايراني في ميناء أنزلي على ساحل بحر الخزر في ظل احتلال الجيش الأحمر لمدينة رشت

هَلَل الشيوعيون لتولي رضاخان (الذي سميّ فيما بعد رضا شاه وهو والد الشاه الأخير المقبور) عرش ايران (١٩٢٥)، ولعب سليمان ميرزا الاسكندري—الذي كان عضوا في البرلمان الايراني حينما استولى رضا شاه على السلطة—ومعه خمسة عشر عضوا مرتبطا بالاتحاد السوفيتي، لعب دورا في اقتناع المجلس بالتصويت لصالح رضاخان.

وما أن استتبّ الأمر لرضاخان، حتى حظر كل نشاط ينافس سلطته بما في ذلك نشاط الحزب الشيوعي الايراني، وفي سنة ١٩٣٧ اعتقلت شرطة رضاخان ٥٣ يساريا، أكثرهم من أعضاء الحزب الشيوعي وبينهم الدكتور تقي آراني، الدماغ المفكر للحزب آنذاك، الذي توفّي في السجن تحت التعذيب. هذه المجموعة التي سميت مجموعة الثلاثة والخمسين، أُعدم بعض أعضائها، وأُفرج عن أعضائها الآخرين فيما بعد—كما سنرى—فشكلوا حزبا شيوعيا آخر أسموه حزب توده.

لقد حاولوا—عن طريق تغيير اسم التنظيم، وعن طريق اتخاذ نهج جديد سنراه في المرحلة الثانية—أن يجدوا لهم موضع قدم على الساحة الايرانية الساخطة على الشيوعية، وعلى ما ارتكبه الشيوعيون في مرحلتهم الاولى هذه. أما أهم الخيانات التي ارتكبتها الشيوعيون في هذه المرحلة فهي:

١— ارتباط الشيوعيين بالسياسة السوفيتية

لم يكن يخفى على أحد ان الحزب الشيوعي الايراني نشأ تحت رعاية الجيش الأحمر في (انزلي)، وبقرار من الأمانة الثالثة، ومن أفراد حزب العدالة الذي اتخذ من باكو السوفيتية مركزا له. كما ان أعضاءه من أمثال (حيدر عمواوغلي) و (پيشه وري) و (احسان الله خان) معروفون بعمالهم لروسيا السوفيتية، وقد برزت عمالهم لجميع الشعب الايراني في حركة الغابة وفي حركة انفصال مقاطعة آذربايجان الايرانية، كما سنرى.

والتبعية لروسيا السوفيتية لها في نفوس الشعب الايراني حساسيات متعددة، حساسية وطنية، وحساسية فكرية عقائدية، اضافة الى حساسية تاريخية.

فروسيا القيصرية احتلت في زمن كاترين الثانية (١٧٦٣-١٧٩٦) جميع المناطق الإيرانية الواقعة غرب بحر الخزر بما في ذلك گرجستان وباكو و طالش و شماخي و گنجة، وكانت كاترين تنوي احتلال انزلي ورشت لولا أن عاجلتها المنية.^٤

سقوط هذه الأقاليم الإسلامية بيد الروس أعقبته حروب بين إيران وروسيا زمن (فتح علي شاه) القاجاري، انتهت بهزيمة جيش إيران. سلسلة الحروب الأولى استمرت عشرة أعوام وانتهت عام ١٨١٣م بتوقيع اتفاقية (گلستان)، والثانية وضعت أوزارها عام ١٨٣٧م بتوقيع اتفاقية (ترکمن جاي) التي فصلت رسمياً أقساماً من شمال إيران وألحقها بروسيا، كما فرضت نظام (الحصانة الدبلوماسية للأجانب = الكاپيتاليسون) على إيران.

و جدير بالذكر أن سقوط هذه الأراضي الإسلامية بيد الروس جاء في أشد فترات انعزال نظام الحكم عن جماهير الأمة، وما كان للنظام الإيراني سند سوى فرنسا، لكن هذا السند الوحيد تراجع أيضاً عن حماية (فتح علي شاه) حين تم الاتفاق بين امبراطور روسيا و نابليون^٥

هذا وان السفارة الروسية والسفارة البريطانية كانتا تحت إيمان إيران، والسفارة الروسية كانت معقل المعادين للحركة الدستورية، وبها لاذ محمد علي شاه عدو الدستورية، بعد أن احتل الثوار الدستوريون طهران (١٩٠٨)، لكنته عاد بمساعدة روسيا عام (١٩١١). ليستعيد منصبه، فواجه مقاومة القوى الوطنية وتراجع هاربا الى أوروبا.^٦

كل هذه الخلفيات التاريخية خلقت حساسيات في نفس الشعب الإيراني من (الجاراة الشمالية)، ومما لاشك فيه ان هذه الحساسيات تنعكس على كل (تابع) لهذا البلد، وان تغيير النظام في روسيا لم يُزل هذه الحساسيات خاصة وأن النظام الجديد استمرّ ينظر بعين الطمع الى ثروات إيران، وانه تسلّح بايديولوجية معادية للأديان، وبعنف «ثورى» يسحق كل المتدينين المسلمين من أبناء الأراضي الإسلامية الإيرانية المحتلة.

٢ - خيانة الشيوعيين لحركة الغابة

زعيم هذه الحركة «ميرزا كوچك خان»، وهو رجل دين من جيلان (محافظة في شمال إيران)، اتصل بأفراد جمعية «اتحاد اسلام»^٧ وانتمى إليها عام (١٩١٥) وأقنع أصحابه بضرورة الثورة المسلحة باعتبارها الطريق الوحيد لنجاة الامة. وحين عزم على ذلك خلع عمامته وعباءته وارتدى بزة الحرب ليضع أول لبنة للثورة المسلحة في إيران.

حاولت روسيا وبريطانيا وحكومة إيران أن تقمع هذه الحركة التي سميت بحركة الأحرار أو الغابة، لكنها فشلت في كل تلك المحاولات.

أضحت منطقة جيلان بأجمعها تحت سيطرة حركة الغابة، وفي تلك الأيام قامت الثورة الشيوعية في روسيا (١٩١٧) وأعقب قيام هذه الثورة انسحاب الجيش الروسي من إيران، وخلال عمليات الانسحاب وجّه الجيش الروسي بمساعدة القوات البريطانية - ضربات قاصمة لأفراد حركة الغابة كادت أن تودي بهذه الحركة وتسحقها، لولا أن عادت الى تجديد قواها ثانية.

في أعقاب هذه الأوضاع أنزلت روسيا السوفياتية قوات في ميناء أنزلي، وأجرت محادثات مع ميرزا كوچك خان حول اعلان الثورة في إيران، واتفق الطرفان على أن يعلن كوچك خان تشكيل جمهورية جيلان باسناد من الاتحاد السوفيتي، على أن يمتنع الروس عن بث دعاياتهم الحزبية والايديولوجية، وعن ارسال قوات أخرى الى إيران، وعلى أن يرضونوا أصالة الثورة الإيرانية.

اعلنت حركة الغابة تشكيل جمهورية جيلان، وكان الميرزا الذي ترأس جمهورية جيلان ينوي احتلال العاصمة، وتقدمت قواته بالفعل حتى صارت على مقربة من طهران.

وفي هذه الأثناء نقض الشيوعيون كل معاهداتهم مع ميرزا كوچك خان وبدأوا بحرب إعلامية ضد الاسلام. ولما اعترض الميرزا على هذه التصرفات، لم يحظ اعتراضه باهتمام لينين «والرفاق الايرانيين»، بل دبر بعض «الرفاق الايرانيين» مؤامرة للاطاحة بالميرزا، وكان على رأس المتآمرين (الرفاق)

احسان الله خان، رئيس وزراء جيلان، وخالو قربان رئيس الحربية، وحواد زاده (بيشه وري) الذي أسس فيما بعد جمهوريته الديمقراطية في آذربايجان الايرانية. وعندما فشلت هذه المؤامرة، واصل السوفيت مساعدتهم للميرزا عن طريق إرسال شحنات أسلحة لأنصار حركة الغابة بواسطة الجاسوس الروسي المعروف (حيدر عمواوغلي)، وبذلك حدثت مصالحة بين الميرزا و«الرفاق» المتآمرين، وفي هذه المصالحة تم التأكيد ثانية على الامتناع عن أي نشاط معاد للاسلام.

في خضم هذه الأحداث جرت صفقة بين الحكومة الثورية السوفيتية والامبريالية البريطانية تقضي - فيما تقضي - بتصفية حركة الغابة. وأعقب ذلك اتصال السفير السوفيتي بالشاه (أحمد شاه القاجاري) ليطمئنه بشأن قرب انتهاء هذه الحركة.

بدأت المؤامرة الجديدة ضد حركة الغابة على يدخالو قربان، الذي دعا الميرزا وسائر زعماء الحركة الى اجتماع ثم أطلق عليهم النار، لكنه لم ينجح في قتل القائد وقع الحركة، واتجه الجيش الحكومي بعد ذلك بقيادة (رضا خان)، وكان قائدا للجيش آنذاك، الى غابات جيلان حيث قمع هذه الحركة بالتعاون مع (الثوريين الماركسيين اللينينيين).^٨

٣ - دعم الشيوعيين لحكومة رضاخان

الانقلاب العسكري الذي دبره رضاخان (١٩٢٠) واعتلاؤه عرش ايران (١٩٢٥) رافقه قلق كبير في أوساط المتدينين والوطنيين لما كان يتصف به هذا الرجل من قسوة وبطش وتعتت، ظهرت عليه أيام كان قائدا للجيش في النظام القاجاري. وكانت الصحف الوطنية في ايران تصف رضاخان بأنه عميل للأجنبي (أي عميل لبريطانيا).^٩

وأمام هذه المخاوف والشكوك والمعارضات السائدة في الجو الديني والوطني تجاه رضاخان، حصلت في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي قناعة بأن تغيير النظام على يد رضاخان خطوة على طريق الثورة البرجوازية ولا بد من تأييده.

كتب ايرانسكي آنذاك في مجلة (الشرق الجديد): ان رضا شاه انسان انبثق من بين الجماهير، ويستطيع أن ينقل ايران من مرحلة الاقطاعية الى مرحلة

الحضور الفعال على المسرح السياسي والاقتصادي.^{١٠} ويذكر ملك الشعراء بهار في كتابه «موجز تاريخ الأحزاب السياسية» انه اتصل بالسكرتير الأول للسفارة السوفيتية في إيران وأوضح له شخصية رضاخان محاولاً اقناعه بالكف عن دعمه، فأجابته هذا السياسي السوفيتي:

«ان رضاخان وطني معارض للتعصب الديني ومعاد للخرافات والرأسماليين والاقطاعيين، ومخالف للتدخل البريطاني في شؤون إيران».^{١١}

وفي ظل التأييد السوفيتي والبريطاني لرضاخان استطاع هذا الرجل أن يفرض على إيران أفضع ديكتاتورية عرفها تأريخ هذا البلد، فقلب ظهر المحن حتى للحزب الشيوعي الذي أيده بوجي من الاتحاد السوفيتي، وأزهق أرواح كل الذين ينسبون ببنت شفة في معارضته، وصادر الأموال وصيّر من نفسه أثرى رجل في العالم، وقضى على كل المظاهر الدينية وفرض السفور الاجباري في إيران.

إن تأييد الحزب الشيوعي لرضاخان يشكل صفحة سوداء أخرى في تأريخ مواقف هذا الحزب، وعملاً على عزله عن صفوف الجماهير المسلمة والقوى الوطنية المحلصة.^{١٢}

المرحلة الثانية تأسيس حزب توده

بعد سقوط رضاخان (١٩٤١) سعى رئيس الوزراء محمدعلي فروغي^{١٣} الى امتصاص نقمة الجماهير من دكتاتورية رضاخان، فعاقب بعض جلادي نظام رضاخان، وأطلق الحريات، وأفرج عن السجناء السياسيين بمن فيهم أعضاء الحزب الشيوعي الايراني.

وفي نفس العام المذكور، وبعد أسابيع من احتلال الحلفاء لايران تشكل حزب توده، وهذا الحزب ضمَّ معظم أعضاء الحزب الشيوعي الايراني المفرج عنهم، لكنه حاول أن يتظاهر بأنه حزب جديد لاعلاقة له بالحزب الشيوعي الايراني، وحاول أن يركز على تأييده للدستور (مستغلا الجوالسائد آنذاك)، وجعل في مقدمة أعضاء لجنته المركزية البالغين ٥٣ شخصاً، اثنين من الشيوعيين المعروفين بدفاعهم عن الدستور ومن أنصار الحركة الدستورية، وهما: سليمان ميرزا الاسكندري، ونورالدين الألموتي.^{١٤}

تأكيد حزب توده على تأييد الدستور الايراني يعني تأييده بشكل غير مباشر لاستقلال إيران ولعدم تبعيتها لأي قوة كبرى، كما يعني تأييده للاسلام باعتباره دين الدولة وأساس تشريع القوانين.

هذا الاتجاه الجديد للحزب الشيوعي الايراني — أي اتجاهه نحو قطع علاقته بسوابقه وتأكيد على انتمائه سياسيا وفكريا لارض إيران — اتخذ حزب

توده ليتلافى مواقفها السابقة التي جعلته ممقوتا في أنظار الجماهير ومعزولا عن كُـلِّ الفئات المختصة - الوطنية والدينية -.

توغل حزب توده في شعاراته الوطنية، فدعا الى تشكيل (جبهة الحرية) للدفاع عن الديمقراطية والاستقلال، وتشكلت هذه الجبهة بالفعل عام ١٩٤٣، وأصدرت ١٤ صحيفة كلها تدعوا بشكل مباشر وغير مباشر الى السياسة التي يتبناها حزب توده. ١٥.

هذا الموقف المناق المهادن والمداهن مع الحركات الوطنية لم يدم طويلا، إذ سرعان ما وجد حزب توده نفسه ملتزما بالدفاع عن مصالح البلد الشيوعي الام، وهذا ما ادى الى انهيار الجبهة المذكورة عام ١٩٤٤. وأول موقف خياني وقفه هذا الحزب في هذه المرحلة الجديدة مطالبته بمنح الاتحاد السوفيتي امتيازات نفط الشمال، ثم توالت خياناته التي سنشير اليها فيما يلي باقتضاب:

١ - حزب توده وامتياز نفط الشمال

منذ سنة ١٩٤٣ كان (ساعد) رئيس وزراء ايران آنذاك يجري محادثات سرية دون علم البرلمان مع الشركات الأميركية والبريطانية لمنحها امتيازات النفط. وفي شهر آذار عام ١٩٤٤ وبعد أن اذيع نبأ هذه المحادثات في المجلس، قال النائب الدكتور (رادمنش) معتبرا عن وجهة نظر حزب توده: «إنني ورفاقي نعارض بشكل تام إعطاء الامتيازات الى البلدان الأجنبية».

بعد تصريح رادمنش بشهر واحد، وصل وفد سوفيتي يرأسه (كافتارأدزه) الى طهران حيث أجرى محادثات مع (ساعد) بشأن الحصول على امتياز نفط شمال ايران. هذه المحادثات أثارت غضب الشعب الايراني المسلم ومعارضة القوى الوطنية، كما أثارت قلق البريطانيين والأمريكيين الذين أرادوا ابرام عقود الحصول على الامتيازات النفطية، دون اثاره أية ضجة شعبية.

أميركا وبريطانيا، اللتان رأتا تطلع الروس الى الحصول على الامتياز واثارة الرأي العام الايراني، أوعزتا الى عميلها (ساعد) أن يرفض ابرام أية عقود لمنح امتيازات نفطية مادامت الحرب لم تضع أوزارها، وأعلن (ساعد) ذلك. حزب توده، الذي كان قد أعلن من قبل رفضه لإعطاء أي امتياز نفطي،

عاد فغير وجهة نظره بعد وصول الاقتراح السوفيتي وأعلن أنه (لا يمكن معارضة مبدأ الامتيازات بشكل عام. فالمسألة ترتبط بالظروف والملابسات والأحوال العامة لهذه الامتيازات!)^{١٦}

أميركا وبريطانيا تنازلتا للأسباب التي ذكرناها عن طلبها بشأن الحصول على الامتيازات، لكن الاتحاد السوفيتي بقي مصراً على طلبه، وهدد بقطع علاقاته مع إيران ان رُفِضَ اقتراحه.

إحسان طبري، أحد زعماء و مفكرى حزب توده، كتب مقالاً دافع فيه عن إعطاء امتياز نفط الشمال للسوفيت، وقال: «ينبغي أن نعترف ان الحكومة الاتحاد السوفيتي مصالح أمنية جادة في إيران، تماما كما نعترف بمصالح بريطانيا وأميركا في إيران.»^{١٧}

وكتبت صحيفة (رزم) معبرة عن موقف حزب توده من إعطاء امتياز نفط الشمال الى الاتحاد السوفيتي تقول: «نعتقد أن إعطاء امتياز استخراج نفط شمال إيران الى السوفيت هو لصالح إيران سياسيا واقتصاديا، إذ ان إعطاء هذا الامتياز يحول دون تشكيل طا بورخامس في النواحي الشمالية لايران، أي في المنطقة الحدودية الحساسة لجارتنا المقتدرة، ويؤدي الى توطيد العلاقات السياسية والاقتصادية بين إيران والاتحاد السوفيتي.»^{١٨}

وهذه المواقف لا تحتاج الى تعليق. فهي واضحة الدلالة على عمق تبعية حزب توده للإتحاد السوفيتي، حتى في هذه المرحلة الجديدة.

٢ - موقف حزب توده من انفصال آذربيجان الإيرانية

منطقة آذربايجان الإيرانية كانت أيام الحركة الدستورية معقل الأحرار والثوار، غير أن عوامل الفقر والجوع التي تفشّت في هذه المنطقة عقب سقوط رضاشاه (١٩٤١) جعلتها مرتعا خصبا لنشاطات حزب توده، وفي هذه المنطقة أسس سيد جعفر جوادزاده (پيشه وري) الحزب الديمقراطي الآذربايجاني (اي الشيوعي). واستغل ظروف الحرب العالمية الثانية فاتصل بـ (جعفر باقروف)

رئيس جمهورية آذربايجان السوفيتية وكسب موافقة الحكومة السوفيتية بشأن اعلان (جمهورية آذربايجان) وأعلن نفسه رئيسا للوزراء. وكان الحزب الديمقراطي الآذربايجاني يتخذ من المسألة القومية وإثارة الحزبات بين الترك والفرس محورا مهما لسياسته^{١٩}، ومع ان أهالي آذربايجان، بل كل الايرانيين كانوا يمتنون الحكومة المركزية، لكنهم وجدوا في انفصال آذربايجان الايرانية وانضوائها تحت لواء الروس إهانة لمشاعرهم الوطنية ولمقدساتهم الدينية، فثار سخط كل الفئات الوطنية والدينية المحلصة، ولم يحظ هذا العمل إلا بتأييد الاتحاد السوفيتي وحزب توده، الذي أعلن تأييده غير المشروط لهذه الجمهورية.

وجدير بالذكر أن الديمقراطيين الكرديستانيين تحركوا عقب إعلان جمهورية آذربايجان السوفيتية، فاتصلوا بجعفر باقروف في «باكو» وحصلوا على الدعم المادي والمعنوي من الحكومة السوفيتية، وأعلنوا عن تشكيل حكومة كردستان المستقلة بقيادة (قاضي محمد).

هذا الدعم الشيوعي للحركات الانفصالية المرتبطة سياسيا بروسيا السوفيتية أدى الى ازدياد الهوة بين حزب توده والقوى الدينية والوطنية المحلصة. ونؤكد هنا ان هذه الجمهوريات المنفصلة لم يكن لها رصيد سوى الدعم السوفيتي، لذلك سرعان ما سقطت جمهورية آذربايجان بعد انسحاب الجيش الأحمر من ايران، وفرّ (بيشه وري) ورفاقه الى الاتحاد السوفيتي تاركين أهالي آذربايجان تحت القصف المدفعي للحكومة المركزية.

٣ - اشتراك حزب توده في حكومة «قوام» اليمينية

أحمد قوام هو حفيد ميرزا محمد قوام الدولة، مؤسس اللوج الماسوني في خراسان وشقيق ميرزا حسن وثوق الدولة، عميل بريطانيا وعاهد اتفاقية ١٩١٩ الاستعمارية بين ايران وبريطانيا.^{٢٠}

تولّى قوام منصب رئاسة الوزراء بعد انقلاب رضاخان، فأبدى خدمة فائقة للبريطانيين والأميركيين، ثم عزله رضاخان تقربا للروس، وبعد عشرين عاما عاد قوام هذا لتولّي منصب رئاسة الوزراء ثانية عام ١٩٤٦. وبدأ منذ مجيئه - يغازل الاتحاد السوفيتي وييدي استعدادة لاجراء محادثات مع السوفيت

بشأن مسألة آذربايجان. كما شكل قوام (الحزب الديمقراطي) ليحصل على الأغلبية في المجلس، وليقف بوجه التيار الديني المتصاعد بقيادة آية الله الكاشاني. ٢١

ومن جهة أخرى وجد حزب توده نفسه معزولاً عن الحركات الوطنية وعن الجماهير المتدبنة، بسبب مواقفه الخيانية المذكورة. فلجأ الى الاتحاد مع حزب قوام (الديمقراطي) وشكّل جبهة ائتلافية، كما دخل في وزارة قوام الائتلافية بثلاثة أعضاء، هم: الدكتور كشاورز وزيراً للتعليم، والدكتور يزدي وزيراً للصحة، وإيرج إسكندري وزيراً للتجارة. هذه التشكيلة الائتلافية لم تدم أكثر من ٧٥ يوماً. لكنها خلفت لحزب توده تبعة سوداء أضيفت الى سوابقه الخيانية، إذ بموقفه هذا أثبت ان الغاية لديه تبرّر الوسيلة، حتى ولو كانت هذه الوسيلة الانضواء تحت لواء حزب يميني وحكومة يمينية للحصول على موضع قدم في الساحة السياسية.

٤- موقف حزب توده والدولة (الأم) من تأميم النفط الايراني

منذ عام ١٩٣٣ كان البريطانيون يملكون - بموجب اتفاقية - امتياز النفط الايراني في المنطقة الجنوبية كلها.

الفئات الوطنية والدينية وعلى رأسها آية الله الكاشاني سعت إلى إلغاء هذا الامتياز، وتحرك مصدق في البرلمان الايراني للمصادقة على لائحة هذا الشأن. وفي عام ١٩٥١ أسند اليه البرلمان منصب رئاسة الوزراء شريطة أن يؤتم النفط الايراني.

كان الشارع الايراني مهيباً لمساندة كل خطوة في هذا المجال بفضل حملة التوعية التي نهضت بها الفئات الدينية والوطنية بين جميع فئات الشعب. ٢٢ وأصبح مطمح كل ايراني أن يتولى الايرانيون بأنفسهم عمليات استخراج النفط وبيعه في الأسواق العالمية.

وقد وجدت اللائحة التي قدّمها مصدق بهذا الصدد لمجلس النواب

(البرلمان) صدق عموماً بين المواطنين، لكن حزب توده عارض هذه اللائحة منذ البداية، بحجة أن كل خطوة تقدمية معادية للامبريالية ينبغي أن يتخذها حزب (الشغيلة) المتمثل بحزب توده، وراح يصف كل الفئات الدينية والوطنية التي قدمت هذه اللائحة بأنها برجوازية وعميلة وخائنة، كما وصف مصدقاً وسائر الوطنيين بأنهم آخر ورقة بيد الاستعمار، وأنهم يستهدفون إغفال عامة الناس والتغريب. ٢٣

انطلاقاً من هذه النظرة، عارض حزب توده مشروع تأميم النفط، حتى انه ذهب الى وصف الغاء اتفاقية نفط الجنوب بأنها (خدعة وعملية مستحيلة مؤكداً على أن مثل هذه الخطوة لا يمكن تحقيقها إلا حينما يستولي حزب توده على السلطة). ٢٤

ودأبت الصحف المرتبطة بحزب توده آنذاك على دعوة الناس الى السكوت وعدم الانسياق وراء شعارات تأميم النفط حتى يحين انبثاق الدولة الديمقراطية (الشيوعية).

واستمر حزب توده في ألامبيبه التي يطول شرحها بينا استطاع الشعب بقيادةه الدينية والوطنية ان يحقق تأميم النفط.

على أثر التأميم قاطعت بريطانيا نفط ايران، وتعرضت البلاد الى أزمة اقتصادية. مما دفع بحكومة مصدق الى طرح سندات قرض وطنية لمواجهة الأزمة. واتخذ حزب توده هذه المرة أيضاً موقفاً معارضاً وأعلن: «ان مشروع اقتراض (٣٠٠) مليون تومان، عن طريق بيع سندات القرض، لم يُطرح إطلاقاً من أجل التغلب على الأزمة المالية لخزينة الدولة، بل انه خطوة تستهدف تضليل الشعب، والتظاهر بفقر الميزانية، ومن أجل التمهيد لتسليم قرض أميركي وقبول الشروط التي تفرضها أميركا، ومن اجل التغطية على عمالة الحكومة للامبريالية». ٢٥

حزب توده يعلن هذا في وقت عمد الاستكبار الأميركي والبريطاني الى مقاطعة نفط ايران لشل اقتصادها. وكان الطريق الوحيد للتخلص من هذا المأزق آنذاك ينحصر في الاستقراض الوطني.

ان مقاطعة حزب توده لشراء سندات القرض الوطنية كانت تنسجم تماماً مع موقف روسيا والمنظومة الاشتراكية. فحكومة مصدق أقرت للبلدان

الاشتراكية— بما فيها الاتحاد السوفيتي— عن استعدادها لبيع النفط الايراني بخصم قدره ٥٠ بالمئة لمدة ثلاث سنوات. لكنّ هذه البلدان أبت أن تتعامل مع ايران، مع ان الاتحاد السوفيتي اشترى في نفس السنة ١٣ مليون طن من نفط الغرب. وحينما وُجِّه السؤالُ آنئذٍ الى السفير الروماني بشأن سبب عدم شراء الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية نفط ايران، أجاب قائلاً: «ثمة مقادير كافية من النفط في الاتحاد السوفيتي وبلدان أوروبا الشرقية وليست هناك حاجة الى مزيد من النفط».^{٢٦}

حينما طالبت حكومة مصدق الاتحاد السوفيتي باعادة (١١ مليون) طن من الذهب الايراني المودع في البنوك السوفيتية خلال الاحتلال العسكري لايران، الى جانب ملايين الدولارات من الطلبات الاخرى الى الحكومة الايرانية لم يستجب السوفيت لطلبها. لكن مقادير الذهب والمبالغ المذكورة سلّمت الى (الجنرال زاهدي) رئيس وزراء ايران الذي تزعم الانقلاب الأميركي، وأعاد الشاه ثانية الى السلطة بعد الاطاحة بحكومة مصدق (١٩٥٣).^{٢٧}

٥- إثارة الاضطرابات بوجه الحكومة الوطنية

شهدت الأعوام بين (١٩٥١—١٩٥٣) انتصار التحرك الجماهيري في ايران، وتمثّل هذا الانتصار بتراجع الشاه أمام الوعي الاسلامي والوطني الذي نهض بأعبائه المخلصون من أبناء هذه الأمة، وعلى رأسهم آية الله الكاشاني، ومهد هذا الوعي والتحرك المتصاعد لفسح المجال لمصدق كي يتسلّم السلطة ويؤمّم النفط^{٢٨}، ويضغط على الشاه حتى اضطرّ الى الفرار من ايران. غير أن هذه الفترة كانت قصيرة لعمومها لاجل اذكريها جميعاً، ونكتفي بذكر عامل واحد يرتبط ببحثنا هذا يتمثّل في الاضطرابات التي أثارها حزب توده في الشارع الايراني خلال تلك الفترة.

خلال العامين والأربعة أشهر من حكومة مصدق، لم يكد يمضي يوم واحد دون أن يثير الشيوعيون مشاكل وقلاقل في طهران وسائر المدن الايرانية يذهب ضحيتها عشرات القتلى والجرحى فعلى سبيل المثال أعلن حزب توده عن اقامة تظاهرات احتجاجية في ١٤ تموز ١٩٥١ اعتراضاً على زيارة (هايمن) مساعد

وزارة الخارجية الأميركية الى طهران. لم يكن سبب هذه الزيارة واضحاً، ولكن الزيارة وحدها كانت كافية لأن يتذرع بها حزب توده و يعلن عن قيام مظاهرات احتجاجية، كي يثبت ان الوضع في ايران غير مستقر، وليوضح للأيركيين ان الشيوعيين أقوياء في ايران. ٢٩

طلب مصدق من حزب توده أن يمتنع عن التظاهر في اليوم المذكور، فلم يتلق جواباً، وعندما يس من استجابة توده لطلبه، التح على الجيش أن لا يتصدى للمتظاهرين وأن يتحاشى أي صدام معهم لكن الجيش كان موالياً للشاه أكثر من ولائه لحكومة مصدق، فحرك بعض الأفراد ليطلقوا النار على المتظاهرين من السطوح، فسقط خمسة منهم مما أثار حفيظة المتظاهرين، ودفعم الى الرد على الجيش حيث حدثت مجزرة دامية، ذهب ضحيتها مئات القتلى وآلاف الجرحى. ومثال آخر من أعمال الشغب التي أثارها حزب توده آنذاك ؛ مظاهرة ٢٨ مارس (آذار) ١٩٥٢، التي قادها (شرميني) مسؤول منظمة الشباب التابعة لحزب توده ضد اللجنة المركزية للحزب نفسه. هذا الاختلاف الداخلي في صفوف حزب توده أدى الى حدوث مجزرة اخرى في اليوم المذكور. ٣٠

انتهت هذه المرحلة بسقوط حكومة مصدق في (١٩ أغسطس آب ١٩٥٣) على أثر انقلاب عسكري أميركي ٣١ قاده الجنرال زاهدي، وأصبح تيمور بختيار ٣٢ الحاكم العسكري العام للبلاد، ولم يواجه الانقلاب العسكري مقاومة تذكر لأسباب عديدة منها المشاكل التي خلقها حزب توده في البلاد، والدور الذي لعبه على الساحة أثناء فترة حكومة مصدق.

حكومة الانقلاب عمدت الى شن حملة تصفية واسعة في أوساط المعارضين فحاكمت مصدقاً ونفته الى قرية أحدآباد (بين طهران وقزوین)، وأعدمت الدكتور فاطمي وزير خارجية مصدق، بعد أن التقي القبض عليه في أحد مخابئ حزب توده، ثم انكشف الخط العسكري لحزب توده وأعدم بعض أعضائه. وشددت حكومة الانقلاب قبضتها على التيار الديني، فأعدمت نواب صفوي مؤسس حركة (فدائيان اسلام) وجمعاً من أصحابه، واعتقلت آية الله الكاشاني في سجن انفرادي، ثم فرضت عليه الإقامة الاجبارية ومنعت أي شخص من لقائه. وفرض الشاه هيمنة قاسية على البلاد، خنق فيها الانفاس. وأعلن ما يسمى بالثورة

البيضاء (١٩٦٢) وكاد كل شيء يستتب لنظام الشاه وأسياده الأميركيين لولا أن تصدّى له (روح الله) فنزق حاجب السكوت، وحطم سدود الخوف، وسرت صيحه في قلب الامة، فأيقظتها ودفعها لنهضة (١٩٦٣) ثم لثورة شاملة حققت نصرها المبين عام ١٩٧٨. ٣٣

المرحلة الثالثة

مرحلة البطالة

وهي المرحلة التي تمتد من عودة الشاه المنفي الى ايران بعد سقوط مصدق (١٩٥٣)، حتى اندلاع الثورة الاسلامية (١٩٧٨). وأسبغها مرحلة البطالة لأن حزب توده لم تكن له (نهضة) في هذه الفترة، إذ أن المساومات الدولية شامت أن تقع ايران في قبضة أميركا... ولم يعد حزب توده -الذي انقضت كوارثه القذية والعسكريت قادرا أن يؤدي أية خدمة لأسياده، وكاد وجوده أن ينحس في الدخان، وبقيت محبوبة في الخارج (في ألمانيا الشرقية بشكل خاص) تحافظ على بقايا اسم حزب توده، وتصدر نشرته، وتبث برامجها الضاعية باللغة الفارسية، تشرج في الايديولوجية الماركسية اللينينية وتنتقم على الامبريالية الأمريكية.

لمست هذه الفترة من حياة الحزب أهمية كبرى نظرا الى تداخلها، كما سنكتفي بتسجيل بعض الملاحظات على حياة تامل مباحثت الحرب في هذه المرحلة.

حزب توده يعترف

تذكرنا أن الحزب الشيوعي الايراني حين أعاد تنظيمه عام ١٩٤٩، عجز اسمه وشعاره ووجوده. وهذا الضيق كان اعترافا ضمنيًا بالأخطاء والمخالفات التي ارتكبها في المرحلة الأولى.

المرحلة الثالثة

مرحلة البطالة

وهي المرحلة التي تمتد من عودة الشاه المقبور الى ايران بعد سقوط مصدق (١٩٥٣)، حتى اندلاع الثورة الاسلامية (١٩٧٨). وأسميناها مرحلة البطالة لأن حزب توده لم تكن له (مهمة) في هذه الفترة، إذ أن المساومات الدولية شاءت أن تضع ايران في قبضة أميركا.. ولم يعد حزب توده — الذي افتضحت كوادره المدنية والعسكرية — قادرا أن يؤدي أية خدمة لأسياده، وكاد وجوده أن ينمحي في الداخل، وبقيت مجموعة في الخارج (في المانيا الشرقية بشكل خاص) تحافظ على بقاء اسم حزب توده، وتصدر نشرة، وتبث برامج اذاعية باللغة الفارسية، تشرح فيها الايديولوجية الماركسية اللينينية وتتهجم على الامبريالية الأميركية!

ليست لهذه الفترة من حياة الحزب أهمية كبرى نتطرق الى تفاصيلها، لذا سنكتفي بتسجيل بعض الملاحظات على حياة — بل سبات — الحزب في هذه المرحلة.

حزب توده يعترف

ذكرنا ان الحزب الشيوعي الايراني حين أعاد تنظيمه عام ١٩٤١، غير اسمه وشعاره ووجوهه. وهذا التغيير كان اعترافا ضمنا بالأخطاء والخيانات التي ارتكبتها في المرحلة الاولى.

وفي المرحلة الثانية التي بدأت بسقوط رضاخان وانتهت بسقوط مصدق وعودة الشاه وفرض الهيمنة الأميركية على ايران، ارتكب حزب توده خيانات ما كان بإمكانه أن يتملص منها أو يغمض عينيه أمام تبعاتها.

من هنا راح في هذه المرحلة الثالثة يمارس سياسة (النقد الذاتي)، محاولاً في الواقع أن يبرر أخطائه وخياناته. ففي مؤتمره الرابع الذي عقده عام ١٩٥٧ ذكر أخطائه خلال فترة حكومة مصدق وقال:

«.. ان المواقف الخاطئة تجاه تأمين النفط — في بداية النهضة — والسلوك اليساري الخاطئ أزاء الجبهة الوطنية، وحكومة الدكتور مصدق، من أهم الأخطاء السياسية التي ارتكبتها حزبنا خلال الأعوام التي سبقت انقلاب تموز عام ١٩٥٣. فقيادة الحزب — بدلا من اسنادها لشعار تأمين النفط والصناعات النفطية، هذا الشعار الذي تضمن عناصر وحدة جميع القوى المعادية للامبريالية وطرح على أساس مطالبة جماهيرية واسعة النطاق، — طرحت شعار إلغاء اتفاقية الجنوب وتأميم المنشآت النفطية الجنوبية، وكان شعار حزبنا بالنسبة لمسألة النفط خاطئاً منطقياً وتكتيكياً، ولهذا فان أخطاء جدية قد برزت في تكتيك حزبنا تجاه الجبهة الوطنية وحكومة الدكتور مصدق.

ان حزبنا، بدلا من اسناده للجبهة الوطنية، وحكومة الدكتور مصدق تجاه الهجمات الامبريالية والجنح الأسود للسلطة الحاكمة، وبدلا من دعمه لزعماء البرجوازية الوطنية، هاجم بشدة ولمدة طويلة حكومة الدكتور مصدق والجبهة الوطنية حتى ثبت أخيراً خطأ هذه المواقف.

قيادة حزبنا، بدلا من أن تنتقد الجوانب السلبية لخطوات الجبهة الوطنية بطريقة إيجابية، وصفت خطوات الدكتور مصدق بشأن مسألة النفط بأنها عملية تنازل نهائي للامبريالية الأميركية، والجهاز الدعائي لحزبنا أكد مراراً على تنبؤاته الجديدة بشأن هذا التنازل، لكن الواقع أثبت زيف كل هذه التنبؤات»^{٣٤}.

يلاحظ ان حزب توده في هذا البيان يؤكد على ان تصرفاته كانت خاطئة منطقياً وتكتيكياً، أي أنها لا تنسجم مع منطق الماركسية اللينينية وتكتيكها. فهذا المنطق يفرض دعم (البرجوازية الوطنية) التي تتسلم السلطة كخطوة على طريق اقامة حكومة البروليتاريا!!!

هؤلاء بدلا من أن يبحثوا عن الأسباب الحقيقية لأخطائهم وخياناتهم الكامنة في قوالبهم الفكرية وفي تبعيتهم العمياء للجارة الشمالية، راحوا يبحثون في نفس القوالب الماركسية عن مبررات لأخطائهم. ٣٥ وهذا مانجده بشكل أوضح في كراس صدر عام (١٩٥٣) خاص بشأن فترة حكومة مصدق. يقول حزب توده في هذا الكراس: «هذه المرحلة تمتاز بالضعف النسبي لطبقة البروليتاريا، وبعدم اشتراك الفلاحين اشتراكاً فعالاً في الحركة الثورية المعادية للامبريالية. من هنا فان قيادة النهضة وقعت بيد البرجوازية ذات الميول المهادنة والمتزلزلة والمترددة في كفاحها ضد الامبريالية». ٣٦

مسؤولية سقوط الحركة الوطنية تقع اذن على عاتق البرجوازية التي تسلّمت السلطة في تلك الفترة، ولا يتحمّل حزب توده أية مسؤولية في ذلك السقوط! والأغرب من ذلك أن حزب توده يرى سبب السقوط يكمن أيضا في عدم انجراف الجماهير وراءه! «وأسوأ من كل ذلك ان الجماهير— بدلا من اعتمادها على طلائع الكفاح المعادي للاستعمار— منحت ثقتها لقادة الجبهة الوطنية الفاقدين للتجربة». ٣٧

هذه التبريرات تحاول ان تغطي على السبب الحقيقي لسكوت حزب توده أمام الانقلاب العسكري الأميركي، ولعدم تحرك الحظ العسكري لهذا الحزب الذي كان متغلغلاً في الجيش بشكل واسع... ٣٨ تحاول أن تغطي على الأوامر التي صدرت من الدولة الشيوعية الأم القاضية بالسكوت، بعد أن اتفق المستكبرون جميعا (أميركا وبريطانيا وروسيا) على الاطاحة بالحكومة الوطنية التي أوشكت على أن تفلت تماما من ساحة (لعبة الامم). وهذا هو ديدن المستكبرين جميعا حينما يواجهون نظاما لا يخضع لمساوماتهم الدولية. وكانت إيران في أوائل الخمسينات تشرف على هذا (الانفلات) من مساومات القوى الكبرى، بعد أن تصاعد فيها المد الاسلامي المتمثل في قيادة آية الله الكاشاني، وفي تحرك (فدائيان اسلام)، وبعدها أن تصاعدت روح المطالبة بالاستقلال في نفوس أبناء الامة في ايران متمثلة بالغاء الامتيازات الأجنبية وبالمطالبة بتأميم النفط.

انهزام القيادة

كل بناء قائم على أساس غير الايمان بالمطلق الحق، إنما هو كبيت العنكبوت سرعان ما ينهار أمام العوامل الخارجية المضادة. والأحزاب الأرضية تتبني مُثلاً علياً محدودة تنطلق من النزعات المادية المحدودة للانسان، وهذه المثل العليا تسقط عادة أمام ما يهدد نزعات مادية أخرى في الانسان، وهكذا انهار حزب توده عقب الانقلاب العسكري (١٩٥٣) أمام (الإرهاب) و (الإغراء).

فالارهاب الذي فرضته حكومة الجنرال زاهدي عقب الانقلاب الأميركي على الفئات المعادية كان منقطع النظر، والإغراءات التي وضعها هذه الحكومة أمام قيادة حزب توده كانت مثل تلك الاغراءات التي تقدمها وكالة الاستخبارات الأميركية لجذب عملائها.. أضف الى ذلك أن الاستخبارات الأميركية والبريطانية وضعت كل معلوماتها وخبراتها تحت تصرف حكومة الانقلاب، ولأدري هل فعلت الاستخبارات السوفيتية ذلك أيضاً أم لا؟ وإنما أطرح هذا التساؤل لأن انكشاف أجهزة حزب توده كان سريعاً للغاية بحيث راح البعض يعتقد ان بريطانيا هي التي كانت تدير هذا الحزب بشكل غير مباشر في ايران، وشاعت آنذاك كلمة (توده نفطي) لتعني ان حزب توده وسيلة لتحقيق أطماع بريطانيا في نفط ايران. وإذا استبعدنا هذا الاعتقاد، يقوى احتمال اشتراك الاتحاد السوفيتي نفسه في كشف جيوب حزب توده آنذاك بعد الاتفاق بين القوى الكبرى على ساحة (لعبة الامم).^{٣٩}

المنظمة العسكرية التابعة لحزب توده كانت أول قطاع انكشف من الحزب (ولعل هذه الأولوية كانت مقصودة من الحكم العسكري)، وقيل في وقتها ان الضابط الشيوعي (عباسي) هو الذي كشف كل خيوط ومخابئ ووثائق القطاع العسكري للحزب.^{٤٠} وبعيد أن يكون فرد عادي من أعضاء التنظيم العسكري له كل هذا الاطلاع الواسع، خاصة وان حزب توده كان يرى في (عباسي) رجلاً ضعيفاً بل مشوهاً.^{٤١}

بعد كشف القطاع العسكري، انكشفت سائر المخابئ والمطبعة، وتم إلقاء

القبض على ثلاثة أعضاء من مجموع خمسة أعضاء يشكلون اللجنة التنفيذية لحزب توده، وهم (الدكتور يزدي والدكتور بهرامي والمهندس علوي)، وفرّ اثنان الى الخارج وهما الدكتور كيانوري والدكتور جودت).

السكرتير العام للحزب آنذاك (الدكتور بهرامي) راح يرّد أمام المحكمة: «إن الشيوعية العالمية غرّرت بي في ألمانيا... وإني كنت مراقباً فقط لتصرفات حزب توده، ولم أشارك في أية جريمة من جرائم هذا الحزب». ^{٤٢}

وأحمد سمعي السكرتير الأول لسلك الشباب في حزب توده وجه نداءً الى شباب توده يوصيهم بحل تنظيماتهم وقال: «أتقدم وأنا حجيل للغاية لأطلب من تراب أقدام الشاهنشاه العفوعني، وأتعهد أن أحصل على لقمة عيشي في بقية حياتي من الاشتغال بالطبابة، وسوف لا أضع في في وفم عائلتي بعد الآن لقمة التجسس والخيانة».

تبيد طاقات الأمة الاسلامية

لولم يؤدّ حزب توده خدمة لقوى الاستكبار العالمي سوى هذه الخدمة، (خدمة تبيد طاقات الأمة الاسلامية) لكان جديراً أن يكون موضع اهتمامهم وعنايتهم. هذا الحزب أذى دوما مهمة (امتصاص النقمة) على الاستعمار الغربي، فحاول أن يجمع الطاقات الساخطة على الاستعمار والاستبداد والاستغلال، ثم يبّد هذه الطاقات ويعرضها للمجازر الدموية... ولقد شاهدنا بعض صور ذلك في مواقفه من حركة الغابة، والحركة الدستورية، والنهضة الاسلامية الوطنية، وهانحن نشهد في هذه الفترة (فترة ما بعد انقلاب ١٩٥٣) تعرض الطاقات الشبابية التي استقطبها حزب توده— للابادة بعد أن تركتها القيادة واستسلمت، أولاذت بالفرار. ^{٤٣}

جدير بالذكر ان الخدمة المهمة التي أذاها الحزب الشيوعي في عملية استقطاب الطاقات تتمثل أيضاً في إبعاد هذه الطاقات عن الخط الاسلامي، وخلق الحواجز الفكرية والنفسية بين الشباب والاسلام. كي يأمن المستكبرون من استفحال التحرك الاسلامي المعادي لهم.

محاكمة الضابط خسرو روزبه (من أعضاء السلك العسكري لحزب

توذه)، ودفاعه ثم اعدامه عام (١٩٥٨)، نموذج جيد يعبر عن تبيد طاقات أبناء الأمة وإبعادها عن فهم الاسلام الصحيح.

ولد هذا الرجل في اسرة فقيرة فقراً مدقماً، مارس العمل والدراسة منذ الطفولة، كان يشتغل لتأمين احتياجاته واحتياجات أسرته وهو يدرس الابتدائية والثانوية. وظهر نبوغه في السنوات الأخيرة من الدراسة الثانوية وخاصة في حقل الرياضيات، وفي السنة الخامسة من دراسته في الاعدادية كتب رسالة في حقل حلّ المعادلات من الدرجة الرابعة عن طريق التقسيم المتسلسل، وعن طريقها حلّ المسائل الرياضية للشيخ البهائي. انتمى بعد تخرجه في الاعدادية الى الكلية العسكرية، فكان أكثر الطلاب تفوقاً في هذه الكلية، وخلال فترة دراسته في الكلية، كتب رسالة علمية تحت عنوان (اصول علم أجهزة الاضاءة في المدفعية المضادة للجوّ) وبلغ عدد كتبه ورسائله العلمية ٣٦ كتاباً ورسالة. وبعد تخرجه عُيّن في الأهواز، ثم نقل الى طهران للتدريس في الكلية العسكرية. وكان حتى بعد تخرجه يعيش حياة الفقراء، اذ كان يساعد أهله واخوته وبنفق ما بقي من ماله لشراء الكتب العلمية في الرياضيات. كان هذا الشاب يرى نفسه يملك الكفاءات العلمية العالية والنبوغ الفائق، ويرى انه مدرس في الكلية العسكرية ومع ذلك فهو يعيش في شظف من العيش وفي فقر وفاقة، ويرى كذلك الملايين من الفقراء والبائسين والجوعان يكذبون ويكدهون وهم محرومون بينما ثروات البلاد الطائلة بيد بضع مئات من الأفراد.^{٤٤} ومن جهة اخرى لم يطلع خسرو روزبه على الاسلام باعتباره الاطروحة الشاملة المقاومة لكل ألوان الظلم والاستعباد والاستغلال، من هنا فهو في دفاعه أمام المحكمة يرفض تدخّل الدين بالسياسة قائلاً: «ان امتزاج الدين بالسياسة يؤدي الى نشوء نظام مثل النظام السعودي!! الذي يطبق القرآن كاملاً» (على حدّ تعبيره). ومع ان هذا الرجل لم يدرس الاسلام اطلاقاً، بل كلّ ماتلقاه من حزبه حول الاسلام عبارة عن مفاهيم ممسوخة ومشوّهة، فهو يؤكّد في دفاعه أمام المحكمة على اعتقاده ان الاسلام قادر على أن يقف بوجه التمرّ الرأسمالي ويزيل الفواصل الطبقيّة السحيقة بين فئات المجتمع، لو التزم به أفراد المجتمع التزاماً صحيحاً بعيداً عن اللقّ والدوران والحيل الشرعية. وهذه حقيقة توصّل اليها روزبه بذكائه الفائق مع انه كان بمعزل عن الأجواء الاسلامية، بل كان

يعيش الأجواء المادية المعادية عداءً شديداً للتيار الإسلامي.^{٤٥} هذا نموذج من الطاقات المهذورة في امتنا الإسلامية، وأمثاله كثيرون من الذين كانوا يستطيعون أن يقدموا خدمة فائقة على طريق استعادة وجود الأمة وشخصيتها وكيانها المسلوب وكرامتها المنتهكة. لكن الحزب الشيوعي امتص هذه الطاقات وسخرها لتحطيم شخصية الأمة، ثم عرضها بعد ذلك للابادة كما قدّمنا.

«توده» يهد للسيطرة الاميركية

رأينا فيما سبق ان حزب توده أسس وهو مثقل بتبعات خيانات الحزب الشيوعي، وان حاول أن يتنصل من تلك الخيانات، ورأينا كذلك ان طبيعة حزب توده اقتضت أن يواصل هذا الحزب خيانات أسلافه، حتى كان من أهم العوامل التي أدت الى سقوط حكومة مصدق.

ولابد أن نضيف هنا ان حزب توده لعب دوراً مهماً في الفصل بين القوى الوطنية وعلى رأسها (مصدق)، والقوى الإسلامية وعلى رأسها (الكاشاني)، وهذا الانفصال أدى الى خروج الجماهير المتديّنة من الساحة السياسية، وبالتالي الى الانقلاب العسكري وعودة الشاه^{٤٦}.

حضور حزب توده بشكل فعال على الساحة السياسية خلال فترة حكومة مصدق أثار مخاوف الجماهير المتديّنة من التسلط الروسي على ايران، لأن هذه الجماهير كانت تحمل حساسية تجاه الروس لا تقل عن حساسيتها تجاه الأميركيين والبريطانيين. كما ان الممارسات الخيانية التي ارتكبتها الشيوعيون في المرحلة الثانية عمقت نفور الأمة من الشيوعية والشيوعيين والكتلة الدولية المساندة لهم. ومن هنا نفهم سبب الانتصار السريع الذي حققه انقلاب ٢٨ مرداد (١٩ آب ١٩٥٣)، وسبب عدم ظهور أي رد فعل جماهيري ملحوظ على الساحة تجاه ذلك الانقلاب، حتى راح العسكريون المناصرون للشاه يصفون الجوبعد الانقلاب مباشرة بأنه «بحر من الهدوء»^{٤٧}.

بعد الانقلاب المذكور، استغلّ الشاه أجواء النعمة السائدة على الشيوعية، ليفتح أبواب ايران على مصراعها للتقليل الأميركي^{٤٨}، وليضرب كل حركة وطنية وإسلامية بتهمة الشيوعية.

وخلال الأعوام بين ١٩٥٣ و ١٩٦١ بلغت مشتريات ايران من الأسلحة تحت اشراف أميركا أكثر من ٦٥ مليار ريال إيراني. كما أنشئت مطارات عسكرية للطائرات الاستراتيجية الأميركية في مدن طهران وتبريز ومشهد وكرمنشاه وهمدان وشيراز وأصفهان وأهواز ودزفول وبندرعباس وأضحت معسكرات الجيش مملوءة بالخبراء العسكريين الأميركيين المتمتعين بالحصانة الدبلوماسية. وانضمت إيران الى حلف بغداد (١٩٥٥) الذي تبذل الى حلف السنطو (١٩٥٨). كل ذلك استطاع أن ينقذه الشاه بأمر من أسياده باسم مكافحة الشيوعية وباستغلال روح النعمة الجماهيرية على الشيوعيين.^{٤٩}

حزب توده يساند سلطة الشاه

الشاه الغارق الى ذقنه في وحل الاستكبار الأميركي عمد سنة ١٩٥٩ - لأسباب عديدة لاجمال لذكرها هنا - الى تنفيذ مشروع (الاصلاح الزراعي)، وراحت الدولة الشيوعية (الأم) ومن ورائها أبنائها تهلّل لهذه الخطوة وتعتبرها عملية تقدمية لنقل ايران من (الاقطاعية) الى (الرأسمالية)، وبقي هذا التأييد لما يسمّى بالثورة البيضاء للشاه حتى قبيل اندلاع الثورة الاسلامية.^{٥٠}

هذا التحليل الماركسي لخطوات الشاه (التقدمية) لاينطلق طبعاً من القوالب الايديولوجية، قدرانطلاقه من مصالح الاتحاد السوفيتي الذي بدأ يحصل على (حصته) حسب الوفاق الدولي من خيرات ايران بموجب اتفاقيات اقتصادية وتجارية وصناعية شملت الترانزيت، واستثمارمخز الحزر، وامتناع الجانب الايراني من استخراج نفط الشمال، وانشاء مصنع صهر الحديد في أصفهان، ومدّ انبوبين عظيمين لتصدير الغاز الايراني الى الاتحاد السوفيتي بأقل من ربع القيمة الدولية... هذا الى جانب الخدمة التي ينبغي للشاه أن يقدمها لجميع القوى الكبرى بما في ذلك الاتحاد السوفيتي، المتمثلة بمكافحة الخط (الرجعي) أي الاسلامي، الذي يهدّد مصالح جميع القوى الكبرى وخاصة الدولة الجارة الكبرى التي تسيطر على بقاع اسلامية واسعة.

ثمة خدمة أخرى أسداها حزب توده لنظام الشاه في حقل إدانة عمليات الكفاح المسلح ضد هذا النظام. ولم يكن على حزب توده الذي (يناضل) في المانيا

الشرقية، عسيرا أن يستتبط من القوالب الماركسية ما يعينه على إيدانة كل حركة مسلحة ضد الشاه. فقد أصدر الكراسات والبحوث الفكرية التي تسخر من حمل السلاح ضد النظام البهلوي، وتصف المجموعات المسلحة بأنها (ماوية)، وأنها نباتات طفيلية في مزرعة الكفاح الطبقي!!^{٥١} هذا الموقف أسفر عن خروج عناصر كثيرة من الحزب لتشكيل مجموعات مرتبطة بالصين وألبانيا.

الساواك يقود توده

كان حزب توده يوجه عن طريق إذاعة تبث من المانيا الشرقية تعاليمه الفكرية والتنظيمية، لكي يثبت على الأقل وجود أمواج الصوتية في إيران. وجهاز أمن الشاه (الساواك) كان يتحرى تأثير هذه الامواج عن طريق افعال مجموعات تعمل في إيران باسم حزب توده. وكان يستفيد من هذه المجموعات المفتعلة أيضا في جذب من يريد جذبهم من الخارج من أعضاء حزب توده. فجموعة (عباس شهرياري) من أهم المجاميع التي شكلها الساواك لتعمل باسم حزب توده، ولتتصل باعضاء حزب توده في الخارج وتجذبهم الى حياثل الساواك.

والساواك استطاع أيضاً أن ينفذ داخل التنظيم الاصيل للحزب في الخارج، حتى استطاع أحد الساواكيين أن يكون الشخص الثاني بعد السكرتير الاول للحزب داخل التنظيم وسيرى القارئ في الاعترافات المزيد عن دور الساواك في حزب توده.

ومن المجموعات التي تأسست خلال هذه الفترة وبالتحديد عام ١٩٧٤ متأثرة بتعاليم توده مجموعة (نويد) التي كانت ضئيلة وسرية للغاية، وحافظت على سريتها حتى بعد الثورة الاسلامية، ونهضت بالدور البارز في التجسس على الجمهورية الاسلامية لحساب الاتحاد السوفيتي.

المرحلة الرابعة

توده في مواجهة الاسلام والجمهورية الاسلامية

موقف الشيوعية فكراً من الدين واضح، فهي لا تخفي ماديتها، وتفسرها لكل الظواهر الاجتماعية— بما في ذلك ظاهرة الدين— تفسيراً دياكتيكياً اقتصادياً. غير أن تكتيك الشيوعيين في موقفهم من الدين يتغير بتغير ظروف مناطق عملهم، ويتغير سياسة الدولة الشيوعية الأم.

كان الموقف الروسي من الدين في العهد الستاليني قاسياً دموياً تصفويماً، منطلقاً من مقولة ماركس: «الدين أفيون الشعوب»، واتجهت سياسة ستالين الى «إنقاذ» الشعوب السوفيتية من هذا «الأفيون» وتبعته في ذلك كل الأحزاب الشيوعية المرتبطة بالكونترن. ٥٢

بعد فشل السياسة الستالينية في مواجهة الدين، أو بعد أن استنفدت هذه السياسة أغراضها داخل الاتحاد السوفيتي وخارجه، نهج خلفاء ستالين طريقاً آخر في التعامل مع الدين. تجلّى هذا النهج في إعادة ترميم المساجد القديمة، وتشكيل لجنة دينية للمناطق الاسلامية في جنوب روسيا السوفيتية يرأسها «شيخ» عضوفي اللجنة المحلية للحزب الشيوعي، والسماح باقامة بعض الطقوس والشعائر الاسلامية بين الشيوخ والعجائز. ثم راحت الزعامة السوفيتية تقيم مؤتمراً سنوياً للأديان!

أما خارج روسيا، فقد كان رد الفعل إزاء السياسة الستالينية المتشددة

تجاه الدين أقوى وأوسع، وتمثّل في الحوار الذي جرى بين بعض الأحزاب الشيوعية الأوروبية والكنيسة، وكذلك في مواقف فردية للشيوعيين الأوائل تجاه الدين مثل موقف روجيه غارودي.^{٥٣} والظاهرة البولندية سوف لا تكون آخر ظاهرة أوروبية تعبر عن تراجع الشيوعية أمام الدين.

وأزمة الشيوعية تجاه الدين في الشرق أصعب وأعقد، لأنها تواجه الاسلام، الدين الذي لا يقرّ لأتباعه أن يبيتوا على ضمير، ولا يسمح لمعتنقيه أن يسكتوا تجاه الظلم والاستعباد والاستكبار، ومع كل مؤامرات المسخ والتشويه والتذويب التي واجهها الاسلام في العصر الحديث على أيدي المستعمرين والطامعين، فإن هذا الدين بقي يشكل أكبر عقبة أمام كل محاولة تسلّطية استعمارية، ولأدلّ على ذلك من الثورات والتحركات الاسلامية التي انفجرت بوجه السيطرة الاستعمارية في مصر والسودان وليبيا والجزائر ومراكش والعراق وايران وبلاد الشام.

الحربة الأساس التي يحملها الشيوعيون في محاربة الدين، هي تحريك الجماهير لرفض كلّ ما يعيقهم عن الثورة على الظلم والاستغلال، بما في ذلك الدين. وشعار الشيوعيين هذا ان اوجد له طريقا الى الأفكار والقلوب في إطار العالم المسيحي والممارسات الكنيسية، فانه يفرغ من محتواه تماما في إطار العالم الاسلامي، اللهم الا في تلك الأوساط التي نجح المستعمرون في عزلها نفسيا وفكريا عن الاسلام. أما البيئّة التي تعيش الاسلام فكراً وروحاً وحركة، فلا تجد الشيوعية موضع قدم فيها.

مما تقدّم، نفهم بعض الأسباب التي أدت الى أن يردّد أعضاء حزب توده في اعترافاتهم: بأنهم وصلوا الى طريق مسدود في أرض الثورة الاسلامية، حيث الاسلام ينهض بالدور الأول في تعبئة الطاقات ضد الطغاة والظالمين والمستعمرين.

حزب «توده» والاسلام

اتخذ حزب توده — منذ نشأته — موقفاً منافقاً من الدين، ناشئاً عن السياسة السوفيتية الجديدة تجاه الدين، ومتناسبا مع الجوّ الديني السائد في ايران.

في مقال نشره حزب توده عام ١٩٤٤ تحت عنوان «هذا جوابنا»، جاء:

«حزب توده من أنصار الدين الاسلامي الحنيف والشريعة المحمدية الحقة». وفي نفس العام أيضاً نشرت صحيفة حزب توده مقالا تحت عنوان: «رأينا في الدين». جاء فيه: «أكثر أفراد الحزب مسلمون من عوائل اسلامية، ولهم انشداد خاص بالشريعة المحمدية، ولا يسلكون على الاطلاق طريقا مخالفا للدين، ولا يقبلون كلاما يتعارض مع الاسلام». ٥٥

لكن هذا التظاهر بالاسلام لم يكن - في أنظار الجماهير - يختلف عن تظاهر الشاه المقبور بالتمسك بالدين وأحكام الاسلام، لأن تاريخ هذا الحزب ومواقفه المعادية لعلماء الدين والحركة الاسلامية، لم تكن تخفى على أحد.

ولقد اتضح بجلاء تخوف الروس من التحرك الاسلامي في إيران، حين ساندوا الشاه الأميركي في مواقفه تجاه المعارضة الاسلامية الكبرى عام ١٩٦٣ بقيادة الامام الخميني، ووصفوا اجراءاته القمعية التعسفية ضد الاسلام والمسلمين بأنها تقدمية معادية للرجعية.

وهذا الموقف اتخذته أيضا كل الأحزاب الشيوعية في المنطقة بما في ذلك حزب توده، كما أسلفنا.

بلغ هذا الموقف المنافق تجاه الدين ذروته في اطار الثورة الاسلامية، اذ اتجه حزب توده الى تأييد نظام الجمهورية الاسلامية، وتأييد مواقف الامام الخميني الحاسمة من أميركا ومن الخط الليبرالي الداخلي. وراح يرفع شعارات التأييد لخط الامام الخميني. وأخذ أفراداه يلهجون بأنهم تودويون سائرون على خط الامام. وانبرى زعيمه «كيانوري» يدافع في صحيفة «مردم» عن خط الامام، مما حدا ببعضهم أن يلقبه تنذراً بـ «آية الله كيانوري»!

تأييد حزب توده وسائر الأحزاب والفئات العلمانية للجمهورية الاسلامية، ولقيادة الامام الخميني واضح الأسباب طبعا، فهذه الأحزاب والفئات وجدت نفسها فجأة كريشة في مهبّ رياح الثورة الاسلامية الجماهيرية العارمة. وصرح بعض قادة هذه الأحزاب حينها - وهم ينظرون مبهورين الى العاصفة الجماهيرية الاسلامية - «بأنهم يسرون في مؤخرة صفوف الجماهير، بل لا يستطيعون اللحاق بركب الأحداث السريعة الناتجة عن التحرك الجماهيري».

لم يكن لحزب توده بدّ من اعلان تأييده للجمهورية الاسلامية والدستور

الاسلامي، ومن هنا طفق مفكرو الدولة الشيوعية الأم يبحثون في أنجيل الماركسية اللينينية عن تبريرات لهذا الموقف الشيوعي من ظاهرة الثورة الاسلامية، فعثروا على نصّ للينين يقول: «ظهور الاحتجاجات السياسية بلباس ديني سمة مشتركة تميّز جميع الأمم في مرحلة معينة من مراحل تطورها». ^{٥٦} كما وجدوا في وثائق المؤتمر السادس والعشرين للحزب الشيوعية نصّا يقول: «راية الاسلام يمكن أن تقود الى النضال من أجل التحرّر، وهذا أمر يثبته التاريخ، بما في ذلك التاريخ القريب جدا. ولكن التاريخ بيّن أن الرجعية، هي الأخرى تتلاعب بالشعارات الاسلامية لاثارة التمرّدات المضادة للثورة. وعليه، فإن الأمر كله يتوقّف على المحتوى الفعلي لأية حركة». ^{٥٧}

أ. فاسيليف، الذي نظّر لحزب توده موقفه الاضطراري من النظام الاسلامي، حاول في الوقت نفسه أن يربط على القلوب المهزوزة للأحزاب الشيوعية في العالم الاسلامي، ويثبّت الأقدام التي بدأت ترتعش على صراط الماركسية اللينينية بعد أن واجهت الثورة الاسلامية العارمة. فراح يفسّر للشيوعيين سبب اتّجاه الجماهير المسلمة نحو اسلامها، ورفضها لكل الحلول المستوردة الشرقية والغربية، فقال: —

«وهناك عبء نفسي معين، لا تحسّ به الجماهير معدومة الثقافة فحسب، بل وتحسّ به العديد من الفئات المثقفة، وهذا العبء، يتمثّل بالعجز عن التوفيق بين نمط الحياة الحديثة والمثل البرجوازية المستعارة من أوروبا الغربية والولايات المتحدة، وبين التقاليد العائلية والاجتماعية، وغالبا ما تستخدم مؤسسات الدولة التي شيّدت على غرار النماذج البرجوازية الأوروبية الغربية والأميركية، كقنوات لتغلغل رأس المال الاحتكاري بما يضر مصالح البرجوازية الوطنية. ولهذا السبب فإن قطاعا لا يستهان به من المثقفين، هذا القطاع الذي يؤلّف موضوعيا الناطق باسم مصالح البرجوازية الوطنية، يتّجه الى القيم الاسلامية بحثا عن جواب عن معضلات الساعة، كما يتّجه الى المؤسسات الاسلامية كشكل للنشاط.

أما المثقفون ذوو التفكير الثوري، والفئات الوسطى والعمال في البلدان الاسلامية، فقد اعتنقوا أفكار عصرنا التقدمية، التي يطبّقونها بما يتلاءم والظروف

الانجاء نحو الاسلام في العالم الاسلامي اذن ناتج— في رأي فاسيليف—
عن عقدة الصراع بين القيم الحضارية الغربية والتقاليد العائلية. أما المتحررون من
هذه العقدة فيعتنقون أفكار عصرنا «التقدمية»!!

هذا الرأي طبعا تافه الى درجة لا يستحق معها المناقشة، ولكننا ذكرناه
لنبين جانبا من التحليلات التي يقدمها منظرو الدولة الشيوعية الأم للشيوعيين في
العالم الاسلامي، بشأن الصحوة الاسلامية المعاصرة.

مثل هذه التحليلات طبعا لم تزد حزب توده في إيران إلا دوارا وترنحا
وتحيرا في كيفية العلاقة التي ينبغي أن يقيمها مع نظام يقوم على قاعدة فكرية،
تتناقض كل تناقض مع قاعدته الفكرية، ويستند الى قاعدة جماهيرية واسعة،
كان حزب توده يتاجر دوما باسمها، ويعتبر نفسه قيما عليها. حيرة حزب توده و
تخطئه في علاقاته مع النظام الاسلامي، تبدوان بشكل أوضح من خلال همومه التي
كان يبثها غالبا الى «الرفاق» خارج ايران. كان يبين «مشاكل الجمهورية
الاسلامية» متمثلة في التزام الثورة التزاما صارما بالاسلام، مما يؤدي الى لفظها
ليسار مثل لفظها لليمين، والى الاتجاه نحو الاستقلال عن الاستكبار العالمي
بجناحيه الشرقي والغربي.

من هذه الشكاوى ما نشره «الرفاق» العراقيون، تحت عنوان رسالة
وصلتهم من ايران بتاريخ ١٨/٩/٨١، وفيها استعراض للمشاكل التي يواجهها
النظام الاسلامي على جميع الأصعدة، ثم يقول صاحب «الرسالة»:

«ولكن لم يتمكنوا — أي أعضاء الجهاز الحاكم في الجمهورية
الاسلامية — من أن يخطوا خطوات جديفة مهمة في هذه الميادين. صحيح أن
الامبريالية والقوى التي تخدم مخططاتها في الداخل، مصممة على عدم إعطائهم
فرصة، ولكن هذا الأمر طبيعي، ولا يمكن توقع شيء آخر. فن المفروض أن
يتقدموا الى الأمم، وبامكانهم ذلك إذا ما اعتمدوا سياسة واقعية صائبة بفرز
الأصدقاء عن الأعداء على الصعيدين الداخلي والخارجي، لتوجيه النار الى العدو
الحقيقي بالتحالف مع اليسار الحقيقي في الداخل ومع الدول الاشتراكية والاتحاد
السوفيتي بشكل خاص، و حركة الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية و حركة

التحرّر الوطني^{٥٩}.

ويواصل هذا (الرفيق) الإيراني بثّ شكواه للرفاق العراقيين، من اصرار (رجال الدين) في إيران على الايمان بالله، وبسائر المبادئ الاسلامية!! فيقول:

«أما السياسة الخارجية، فلا تزال مستمرة من حيث الجوهر «الاشرقية و لاغربية»، مع تحسّن كميّ في الفترة الأخيرة، تمثّل بشكل بارز في الموقف من العدوان على أنغولا، وتبادل التمثيل الدبلوماسي مع اليمن الديمقراطية، بمستوى سفير، وحضور اجتماع جبهة الصمود والتصدي.

ان عدم تمييز الأصدقاء من الأعداء بشكل صائب، لا يعود في إيران الى أسباب طبقية وحسب، بل يعود في جزء منه الى أسباب دينية، فان رجال الدين الذين يحكمون البلد يؤمنون فعلا بالله و اليوم الآخر و بظهور المهدي صاحب الزمان و يعادون الإلحاد و الملحدين، ولكن ذلك شيء، و إدارة الدولة شيء آخر، فان السياسة الوطنية الصائبة، و خدمة الجماهير الكادحة تتطلب نظرة واقعية»^{٦٠}.

هذه الشكوى — على تفاهتها — تبين بدقّة أزمة الشيوعية في ظل النظام الاسلامي. فحزب توده الذي حاول كثيراً أن يتظاهر بدفاعه عن الاسلام، واجه أزمة فكرية و نفسية و سياسية و اجتماعية خانقة، حين حاول أن يتحرّك في جو يعيش الاسلام بجميع أبعاده الحياتية.

نشاطات حزب توده في هذه المرحلة

١- إعادة التنظيم

اتخذ أعضاء حزب توده القاطنون خارج إيران موقفاً متحفّظاً من الثورة الاسلامية قبل الانتصار، شأنهم في ذلك شأن الاتحاد السوفيتي. و كان ديدنهم التشكيك في الانتصار، و الاستهانة بهذا التحرك الجماهيري العارم الأعزل من السلاح، و الذي لايقوده (حزب الكادحين الطليعي)! أعضاء الحزب الموجودون داخل إيران، ضاقوا ذرعاً بسكوت القيادة

الخارجية التي يتزعمها ايرج اسكندري، فهم يرون بأن أعيانهم قلاع الطاغوت تهاوى الواحدة بعد الاخرى، وليس لحزبهم أي موقف من هذه الأحداث الكبرى.

في الأسابيع الأخيرة التي سبقت رحيل الشاه عام ١٩٧٩ قرّرت بعض الكوادر الداخلية إعادة إحياء الحزب وتسميته «تنظيم الداخل» تمييزاً له عن القيادة الموجودة في الخارج، وانتخب نور الدين كيانوري^{٦١} أميناً عاماً لهذا التنظيم^{٦٢}.

٢- الدعوة الى الكفاح المسلح

بعد الأحداث الجماهيرية الضخمة التي توالى في جميع أنحاء إيران، اتان الثورة الاسلامية، انهار الجيش الشاهنشاهي من الداخل، نتيجة التمرد والاضراب والأعمال الفدائية المساندة للثورة، اضافة الى فرار الأعداد الضخمة من المعسكرات، مما أدى بالجيش الى اعلان (حياده)، بل استسلامه قبل يومين من انتصار الثورة الاسلامية. ولم يبق من الفئات الموالية للشاه داخل الجيش الآفة ضئيلة غير قادرة على القيام بأي عمل، فبعض أعضائها استسلم كارها، وبعضهم قتل خلال أيام الانتصار بيد أبناء الجيش المساندين للثورة.

هذه الظاهرة حدثت في الجيش الشاهنشاهي بفضل سياسة حكيمة دقيقة، خطط لها قائد الثورة الامام الخميني، ونفذتها الجماهير بكل دقة، وتقضي باستعطاف الجيش وعدم الاصطدام به اطلاقاً.

من جهة أخرى شعرت الفئات اليسارية في إيران أنها تركض لاهثة، لكنها لا تلحق حتى بالصفوف الخلفية من الجماهير الهادرة. ولذلك راحت ترفع شعارات شاذة، كي تبرز على الساحة استناداً الى قاعدة: خالف تُعرف، ومنها شعار: الطريق الوحيد للتحرّر. هو الحرب المسلحة. وظنت الفئات اليسارية أنها بطرح هذا الشعار، سوف تستهوي الجماهير التي تقدّم المواكب تلو المواكب من الشهداء، جاهلة أن هذه الجماهير تنتظر أوامر الامام باعتبارها أحكاماً شرعية مقدّسة، وتعتبر التخلف عنها مخالفة لله ولرسوله.

غير أن الفئات اليسارية وسائر الفئات المعادية للثورة الاسلامية،

استفادت من هذا الشعار خلال الساعات الاولى من انتصار الثورة الاسلامية (١٠-١١ شباط ١٩٧٩)، اذ بهذا الشعار هجمت على المعسكرات في طهران وفي كردستان، ونهت ما فيها من أسلحة وذخيرة. واستخدمتها بعد ذلك في محاربة الدولة الاسلامية. بينما خبأها حزب توده ليوم المواجهة الموعود^{٦٣}.

ومن الغريب أن كيانوري يدرج الدعوة الى حمل السلاح ضمن (مفاخر) حزب توده و (مواقفه المشرفة) من الثورة الاسلامية، حين يتحدث الى رفاقه غير الايرانيين^{٦٤} عن الثورة الاسلامية.

٣- الاعلان عن تأييد نظام الجمهورية الاسلامية

اقتضت السياسة السوفيتية أن تعلن تأييدها لنظام الجمهورية الاسلامية، وتهلل لكل خطوة اتخذها النظام الجديد، لكنس بقايا الوجود الأميركي في ايران، بما في ذلك إزالة قواعد الرصد الأميركية الموجهة الى روسيا من مناطق شمال إيران، واحتلال وكر التجسس الأميركي الذي كان يمارس أعماله باسم السفارة الاميركية، والقضاء على الخط الليبرالي الموالي للغرب في إيران. غير أن الاتحاد السوفيتي كان يبحث الى جانب ذلك عن مواضع أقدم له في إيران لملء (الفرغ) الأميركي، وتجلت هذه المحاولات السوفيتية في قضية (محمد رضا سعادي)،^{٦٥} الذي أُلتي عليه القبض وهو يهيم بتسليم وثائق خاصة^{٦٦} الى السفارة السوفيتية.

موقف حزب توده من نظام الجمهورية الاسلامية تابع بوضوح للموقف السوفيتي، فقد أعلن تأييده أيضاً للثورة الاسلامية ونظام الجمهورية الاسلامية، و اتخذ في ذلك مواقف ذكية للغاية. واستند في مواقفه هذه — كما ذكرنا — الى آيات من أناجيل الماركسية اللينينية، ساعده على استخراجها الايديولوجيون الروس.

تجدد الاشارة الى أن الامة المسلمة في ايران استعملت مصطلح (خط الامام)، لفرز الطريق الاسلامي الأصيل الذي يدعوا اليه الامام الخميني عن سائر الخطوط المنحرفة والتلفيقية. وحزب توده راح يشيع — بشكل موسع في إعلامه — أنه من السائرين على خط الامام وطقق يدافع عن خط الامام، معطياً

في الوقت نفسه معنّى مشوّهاً لهذا الخطّ يتلخّص في معاداة أميركا. أما حينما يدور الحديث عن (اللاشرقية)، يعتبره انحرافاً عن خط الامام وحينما بدأ الامام يندّد صراحةً بسياسة الاتحاد السوفيتي، ويؤكد على أن الانحراف نحو اليسار لا يقل خطورة عن الانحراف نحو اليمين، قال حزب توده: ان الامام نفسه انحرف عن خطه^{٦٧}.

٤- اعلام «توده»

لئن رفضت الماركسية النسبية الذاتية في فهم الحقيقة، فانها آمنت بالنسبية الموضوعية التي أوقعتها مآلاً في أحضان النسبية الذاتية، بعد أن قرّرت أن من المستحيل للفكر الانساني أن يتخلّص من الطابع الطبقي والحزبي^{٦٨}. حزب توده له عراقية في التأكيد على الاعلام من أجل نشر (الحقائق)، التي هي في الواقع، تحوير الحقائق. لتكون متناسبة مع قوالب الفكر الماركسي بطرق ملتوية، وبثرثرة مسهبة تمارس طريقة الايجاء والتلقين اللاشعوري للقارئ.

مرّبنا نشاط توده في هذا المجال خلال فترة حكومة مصدق، وفي هذه الفترة عمد حزب توده الى ممارسة نشاط إعلامي واسع شمل الكتابة على الحيطان، ونصب اللافتات، واقامة المعارض، ونشر الشعارات، وطباعة الكتب الماركسية اللينينية بشكل واسع جداً وبيعها بثمن بخس، اضافة إلى نشر المجلات والصحف والدوريات.

ومن منشورات حزب توده في هذه المرحلة:

«صحيفة «مردم»» الناطقة الرسمية باسم الحزب، وتعبّر عن وجهة نظر توده في المسائل اليومية المختلفة. وتطرح الشعارات التي تحاول تلقينها للآخرين.

«صحيفة «اتحاد مردم»» وهي وإن لم تكن تعبّر بشكل رسمي عن آراء حزب توده، لكنها كانت واجهة لهذا الحزب يطرح فيها ما لم يرد أن ينسب اليه رسمياً، وكان يصدرها محمود اعتماد زاده (به آذين) الذي سيأتي ذكره.

«صحيفة «آذرخش»» خاصة لطلاب المدارس، وفيها تبسيط للمفاهيم الماركسية اللينينية، اضافة الى عرضها لمواقف توده في المجالات المختلفة، بأسلوب يتناسب مع عواطف الشباب ومشاعر المراهقين.

«مجلة «دهقان» للفلاحين، وهي في الحقيقة معدة للمستويات الهابطة ثقافياً.

— مجلة «زنان» خاصة للنساء، و كان حزب توده يبعث بالفتيات المحجبات الى المنازل لبيع هذه المجلة لربات البيوت، ولم يكن يظهر وجوده في هذه المجلة الآمن طرف خفي جدا خشية رد الفعل.

«مجلة «دنيا» وهي مجلة فكرية موسعة تحمل آخر إفرافات الايديولوجيين الماركسيين، اضافة الى دراسات مختلفة في الشؤون السياسية والاقتصادية.

«پرسش و پاسخ» وهي مجلة تضم أسئلة موجهة الى «كيانوري» و الأجوبة عليها. وهي أهم منشورات حزب توده من حيث تعبيرها الدقيق عن مواقف الحزب بشأن المسائل الحساسة المعاصرة، و كانت الأسئلة والأجوبة تدور دائما حول المحاور التالية: المسائل الاقتصادية في إيران و خاصة ما يرتبط بالأرض و التجارة الخارجية، و مسألة المرأة، و مسألة الحرب الإيرانية العراقية (على حد تعبيرهم)، و مسألة أفغانستان، و مسألة العلاقات مع الكتلة الشرقية، و مسألة تشكيل الجبهة الثورية الديمقراطية..

لوعلمنا أن (الحزب الجمهوري الإسلامي) في إيران يعاني من ضائقة مالية شديدة في نشره لصحيفة (جمهوری اسلامی) — على سعة انتشارها — مما اضطرته الى جمع تبرعات عامة من أبناء الامة لفهمنا الامكانيات المالية الضخمة التي كان حزب توده يرصدها لاعلامه و منشوراته.

٥— جذب قوى اليسار

في مرحلة سابقة لحزب توده، ذكرنا أن اليساريين الإيرانيين تخلّوا عنه و شكّلوا مجموعات يسارية صغيرة متعدّدة، انتهجت معظمها الكفاح المسلّح. و في هذه المرحلة حاول حزب توده أن يجذب نحوه المجموعات اليسارية، و نجح في ذلك الى مدى بعيد، و سبب نجاحه يعود الى أنه أدان منذ البداية معارضة نظام الجمهورية الاسلامية، بينما المجموعات الاخرى حملت السلاح و أثارت الفتن و المشاكل في منطقة كردستان و جيلان و مازندران و بلوچستان و خوزستان، و ثبت لأكثر المجموعات اليسارية صواب خط حزب توده حين فشلت في مواصلة

إثارة الاضطرابات، واصطدمت بأمة مسلمة متفانية في سبيل الحفاظ على مكتسباتها الاسلامية.

على رأس النجاحات التي حققها توده في هذا المجال، جذب أكثرية مجموعة (فدائيي الشعب)، إذ انقسمت هذه المجموعة اليسارية المحاربة للجمهورية الاسلامية الى فئتين: أكثرية ألفت السلاح، وأعلنت ضرورة مساندة النظام، و التحقت بخط حزب توده. وأقلية، واصلت حمل السلاح و بقيت مع مجموعة (كوموله) اليسارية الكردية تثير القلاقل في كردستان. وظهر الناطق باسم فدائيي الشعب (الاكثرية)، «مصطفى نكهدار» على شاشة التلفزيون في حوار ايدولوجي، ليعبر عن نفس مواقف حزب توده التي كان يطرحها في تلك الندوة «احسان طبري». كما نجح حزب توده في ايجاد انشقاق داخل «الحزب الديمقراطي الكردستاني»، فقد خرجت بعد المؤتمر الرابع لهذا الحزب مجموعة كبيرة بقيادة «غني بلوريان»، رافضة نهج «الدكتور قاسملو» في الكفاح المسلح ضد الجمهورية الاسلامية، وأعلنت أنها تنتهج الكفاح السياسي لتحقيق مطالب الأكراد. و التحقت عمليا أيضا بحزب توده. و كان «عموي» عضو اللجنة المركزية لحزب توده ذا دور فعال في هذا الانشقاق.

بقي أن نعيد القول أن نجاح حزب توده في هذا المجال يعود بالدرجة الاولى الى فشل المجموعات المسلحة في مواجهة النظام الاسلامي، بل الأمة المسلمة المساندة لهذا النظام. وهذه المجموعات التي «تراكمت» لانتهاج سبيل الكفاح السياسي ضد الجمهورية الاسلامية، هي الأخرى واجهت طريقا مسدودا، فانهارت أمام صمود الأمة على طريق إسلامها وبقية إمامها. و ما أجل تعبير القرآن عن هذه المجموعات «المتراكمة» «الصادة» عن سبيل الله: «إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فيسئفونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يُغلبون. والذين كفروا الى جهنم يحشرون. ليميز الله الخبيث من الطيب و يجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون»^{٦٩}.

٦- افعال الواجهات

لم يكن يسيراً على حزب توده أن يتحرك في بداية الثورة على الساحة، و هو محمّل بأوزار الماضي، فراح يتحرك وراء الواجهات، فأسس في بداية الثورة الاسلامية ما يسمى بالجمعية الايرانية لأنصار السلام. ولكن توالي أحداث الثورة بسرعة، جعل وجود مثل هذه الجمعية أمراً تافهاً لا معنى له، فانحلت الجمعية، وبقيت واجهة اخرى من واجهات حزب توده، تعمل بنشاط في جمع الكتاب و المترجمين و الصحفيين تحت لوائها وهي «كانون نويسندگان ايران» أي مركز الكتاب الايرانيين، باشراف محمود اعتمادزاده، الملقب بـ(به آذين)، الذي كان عضواً سابقاً في حزب توده ثم ترك الحزب، ثم عاد اليه في بداية انتصار الثورة الاسلامية.

وثمة واجهات صغيرة أخرى كان يعمل خلفها حزب توده، تحمل اسم الأقليات الدينية أحياناً، واسم التجمعات الديمقراطية أحياناً أخرى، ولانود ذكر اسمها بسبب عدم اكتمال مراحل التحقيق، وعدم صدور رأي رسمي بهذا الشأن. جدير بالذكر أن واجهة الكتاب الايرانيين، تحركت على الصعيدين الداخلي والخارجي كثيراً للدفاع عن رئيسها بعد اعتقاله، زاعمة أنه كاتب مفكر لاغير، ورفعت في ذلك مذكرة الى رئيس الجمهورية الاسلامية الايرانية، طالبت فيها باطلاق سراح (به آذين) الذي يشكل اعتقاله (على حد زعمها) تهديداً لحرية الفكر وللحريات الديمقراطية، ثم خرج (به آذين) بنفسه على شاشة التلفزيون يعترف باشتراكه في كل خيانات حزب توده، ويعتبر نفسه مذنباً يستحق أقسى العقوبات.

٧- التظاهر بالاخلاص والوطنية

سعى حزب توده كثيراً لأن يظهر على الساحة بأنه حزب مخلص لنظام الجمهورية الاسلامية. و من منطلق (الاخلاص) كان يطرح حلوله للمشاكل السياسية والاقتصادية، ومن خلال هذه الحلول كان حزب توده يحاول أن يظهر

نفسه بأنه وحده — لاغيره — قادر على حل المشاكل القائمة. طروحات حزب توده واقتراحاته لحل المشاكل القائمة نجدها في جميع أعداد «پرسش و پاسخ»، كما نجدها في المقالات التي كان يبعثها الى (الرفاق) العراقيين، ليظهر نفسه على صعيد الأحزاب الشيوعية العالمية بأنه لايزال قادرا أن يقول كلمته على الساحة الإيرانية^{٧٠}.

حزب توده — الذي يحمل تبعة ثقيلة من ماضية المليء بالخنايات الوطنية — حاول في هذه المرحلة كثيرا أن يظهر نفسه وطنيا حريصا على مصالح إيران والاييرانيين، وأن ميوله للاتحاد السوفيتي لا تنطلق من تبعيته للجارا الشمالية، بل من حرصه على مصالح إيران التي لا تهدها سوى الامبريالية الأميركية!

كما حاول كثيرا أيضا أن يضيف على أفكاره طابع الوطنية، محاولا أن يلقى بين المادية الديالكتيكية و التراث الايراني الاسلامي!! وهي محاولة تحتاج الى كثير من التجتي والافتراء على التراث لا يجيدهما الا المتفتنون في مسخ الحقائق و تشويه الأفكار^{٧١}.

إحسان طبري، كان رائد هذا التلقيق، فهو من جهة مفكر ماركسي عريق يعدّ على رأس المفكرين الماركسيين الشرقيين، ومن جهة أخرى يتمتع بنصيب وافر من الاطلاع على الأدب الفارسي وعلى العرفان والفلسفة و التصوف والتاريخ في الشرق. و كان في جلسات الحوار التي دارت بين الاسلاميين والماركسيين على شاشة التلفزيون يركّز على هذا الجانب، ويستشهد بكثير من نصوص الأدب الفارسي التي تذهب — في زعمه — مذهب المادية التاريخية، وتنتهج المنطق الديالكتيكي.

٨ — النفوذ في مراكز الدولة

لم يكن عسيرا على أعضاء حزب توده أن ينفذوا في المؤسسات الرسمية للجمهورية الاسلامية. لأن الثورة الاسلامية ثورة جماهيرية غير قائمة على أكتاف تنظيم له معرفة مسبقة بالأفراد والاتجاهات والميول والتجمعات. ومن البديهي أن تنشط المجموعات السياسية في ظل مثل هذه الثورة للسيطرة على مراكز الدولة أو

للتغلغل فيها على الأقل لكي تستطيع أن تحرك الدفة في الاتجاه الذي تريده. وإن لم تستطع المجموعات السياسية أن تسيطر على أي جهاز من أجهزة الدولة الإسلامية بفضل قيادة الامام الخميني، والتفاف الامة حول القائد ٧٢، فانها استطاعت أن تنفذ في بعض المراكز الرسمية وغير الرسمية ٧٣. وحزب توده كان مؤهلا أكثر من غيره لهذا النفوذ، بفضل توجيهات الدولة الشيوعية الأم، وبفضل قدرة أعضاء الحزب على التظاهر بمناصرة خط الامام، وبتأييد الجمهورية الإسلامية.

قبل سقوط حزب توده، كانت أصابع الحزب واضحة في المشاكل التي تُثار بين حين وآخر، في الجمعيات الإسلامية الموجودة في بعض المعامل والمصانع.

٩- محاولة شق صفوف المسلمين

دأب حزب توده على أن يقسم الاتجاه الإسلامي في إيران الى تيارين: يميني ويساري. وراح يضع بعض المسؤولين، وأعضاء مجلس الشورى الإسلامي، وأعضاء مجلس صيانة الدستور، وعلماء الدين في جبهة اليسار، بينما وضع بعضهم الآخر في جبهة اليمين، ووصفهم بأنهم منحرفون عن خط الامام! من الواضح أن تطبيق الإسلام في المجالات الحياتية المختلفة وخاصة في المجال الاقتصادي وبالأخص في حقل التجارة وتوزيع الأراضي الزراعية، يؤدي الى ظهور آراء واجتهادات مختلفة في حقل التطبيق، وهذه الآراء تُطرح في مجلس الشورى الإسلامي وفي مجالس التدريس العلمية، وهذه ظاهرة طبيعية سليمة تؤدي الى اثراء الفكر، وتدل على فتح باب الاجتهاد في الإسلام. غير أن حزب توده حاول أن يستغل هذه الاختلافات في الاجتهاد، لتصنيف المسلمين الى يمين ويسار، لاثارة الخلافات بين المسؤولين، ولشق الاتجاه الإسلامي الموحد وخلق الحساسيات تجاه بعض علماء الدين.

١٠- محاولة جرّ الثورة الإسلامية الى اليسار

مرّ بنا سابقا ان حزب توده دعا الى اقامة جبهة تضم ما أسماه المسلمين الثوريين وكل الفئات الثورية الديمقراطية!! زاعما ان الإسلام لايفصل بين

الثوريين المعادين للامبريالية الأميركية! أي إن الاسلام لا يمكن أن يشكّل المحتوى الفكري والحركي للمجموعة البشرية، بل ان المحتوى يتكيف وفق المكانة الطبقيّة والموقف الطبقي للأفراد، ومن هنا يمكن أن يلتقي حزب توده مع المسلمين الثوريين اليساريين على حدّ زعمهم.

كما دعا حزب توده - انطلاقاً من المفهوم السابق - الى اقامة جبهة موحدة مع الأنظمة اليسارية في العالم وخاصة الاتحاد السوفيتي وهذه الدعوة دفعته الى الدفاع عن السياسة السوفيتية بحماس، خاصة في حقل غزو أفغانستان، و الى التأكيد على أن الاتحاد السوفيتي صديق حميم للشعوب الثورية الكادحة، بما في ذلك الشعب الايراني.

حزب توده واجه في محاولته هذه فشلاً يفوق فشله في نشاطاته الاخرى، اذ اصطدم منذ اللحظة الاولى بشعار الجماهير المسلمة (لاشرقية ولاغربية) و (الموت لأميركا - الموت للاتحاد السوفيتي). وهذه الشعارات عبّرت في الواقع عن محتوى حضاري عميق في الأفكار والنفوس، كما تحوّلت الى خطّ عملي، من انحرف عنه خرج من صفوف الجماهير وانعزل عنها.

احتراق الأوراق

الأحزاب الشيوعية في العالم عامة، وفي العالم الاسلامي خاصة، تجد لها موضع قدم من خلال طرح شعارات خاصة معروفة، لاجابة الى ذكرها. ويهّمنا هنا استعراض احتراق الأوراق التي كانت بيد حزب توده الشيوعي وافلاسه في جميع شعاراته:

١- ورقة الفكر الثوري

طالما تظاهر الشيوعيون بأنهم يملكون فكراً ثوريا قادراً على تعبئة الطاقات ودفعها على طريق الحركة والكفاح، وطالما اتهموا الفكر الاسلامي بأنه مخدّر وعامل على السكون، وشلّ الطاقات، غير أن الثورة الاسلامية أثبتت عكس هذا

تماماً، اذ على أساس الاسلام وحده لاغير، انطلقت أعظم ثورة شعبية في تاريخنا المعاصر، شملت جميع فئات الشعب، وتوغلت في أقصى نقاط البلاد، ودفعت الأمة لأن تواجه أعتى طاغوت معاصر، ولأن تواصل هذه المسيرة على الرغم من تقديم آلاف الشهداء، ولأن تدكّ عرش الطاووس وتحرق أكبر قاعدة أميركية في الشرق الأوسط. ولازال الاسلام هو العامل الوحيد لبقاء الجماهير في ساحة الثورة، ولصمودها أمام أنواع التحديتات العسكرية والاقتصادية والسياسية. من الطبيعي أن حزب توده الشيوعي لم يعد قادراً في إيران أن يلوّج بفكره الثوري وأن يعتبره الفكر الوحيد القادر على تحريك الجماهير، كما تفعل الأحزاب الشيوعية في بقاع عالمنا الاسلامي. وبذلك أفلس في هذا المجال تماماً.

٢- ورقة محاربة أميركا

ظهور أميركا في العقود الأخيرة، كوحش عسكري واقتصادي يزهدق أرواح الملايين دون حساب، وابتلع ثروات الشعوب دون رحمة، زاد استياء الشعوب من الاستكبار الأميركي أكثر، وروج في الوقت نفسه بضاعة الشيوعيين بين الشعوب الناقصة على أميركا.

كان بمقدور حزب توده أن يلعب بورقة معاداة أميركا بشكل جيد في إيران، حيث كانت أميركا جاثمة على صدر الأمة في هذا البلد ما يقارب ثلاثين عاماً، لكن الاسلام ظهر في الثورة الاسلامية، باعتباره العدو اللدود للاستكبار الأميركي ولكل المستكبرين. شعار الموت لأمركا أصبح في إيران وهداً يتلوه أبناء الأمة في أدعيتهم وأذكارهم وصلواتهم، وأضحى الشعار الأول في الجمهورية الاسلامية، كما اتخذت أميركا في إيران اسم الشيطان الأكبر، وبات العلم الأميركي يُحرق ويُداس بالأقدام في كل مناسبة. العداء لأمركا في الجمهورية الاسلامية لم يتلخص في إطار الشعارات، بل تعدى الشعار الى العمل، فأضحى الجمهورية الاسلامية قاعدة لمعاداة المصالح الأميركية في جميع المنطقة، ومحلاً لتمريغ أنف أميركا في التراب، ولاحاجة لتعداد ما اتخذته الجمهورية الاسلامية من إجراءات صارمة للوقوف بوجه تحديتات الاستكبار الأميركي، بل نكتفي بالقول إن الاسلام ظهر مع اندلاع الثورة الاسلامية، باعتباره العدو الأكبر

للاستعمار الأميركي على صعيد الشعار والعمل، وبذلك خسرت الشيوعية هذه الورقة في إيران على الأقل.

٣- ورقة مناصرة الكادحين

شعار نصرة الكادحين والمحرومين هو الآخر، استهوى المنجرفين نحو الشيوعية في عالمنا الاسلامي عند ابعاد الاسلام عن ساحة الحياة لكن الشيوعيين أفلسوا في طرح هذا الشعار أيضا في ظل الثورة الاسلامية التي اتجهت اول ما اتجهت الى تقليم أظافر المستثمرين والمستغلين، والمبتزين والمرابين، وجميع مصاصي دماء الشعب، وكل أصحاب الثروات المحرمة كما خطت الثورة بجد - على الرغم من كل ما وضع أمامها من عقبات - على طريق الأخذ بيد المحرومين والضعفاء، وتحسين أوضاع معيشتهم، ورفع ما لحقهم من حيف وظلم في عهد الطاغوت. ولم تكن مواقف الثورة الاسلامية هذه (مصلحية) تستهدف جذب الطبقة الفقيرة اليها، بل كانت (مبدئية) تنطلق من المفاهيم الاقتصادية الاسلامية في حقل المكاسب المحرمة، والعدالة الاجتماعية والتكافل الاجتماعي..

دستور الجمهورية الاسلامية أقر في بنوده كل السبل اللازمة للوقوف بوجه استغلال الانسان لأخيه الانسان، والاثراء غير المشروع، ووضع السبل الكفيلة لتوفير حياة كريمة لجميع أفراد الشعب.

الامام الخميني أكد في أكثر خطبه على دور المستضعفين في الثورة الاسلامية، وعلى ضرورة الاسراع في تحسين أوضاع الفئة المحرومة اقتصاديا في المجتمع.

كل هذه الأجواء المعادية لأصحاب الثروات المحرمة، والمناصرة للمحرومين والمستضعفين في الجمهورية الاسلامية، أفقدت شعارات الشيوعيين في هذا المجال تأثيرها، فقد وجدت الأمة في الاسلام خير نصير لها ازاء كل مالحق بها من ظلم.

٤ - ورقة الدفاع عن الإتحاد السوفيتي

حزب توده لم يكف، منذ تأسيسه، عن الدفاع عن الإتحاد السوفيتي، و لا يستطيع بطبيعته أن يكف عن ذلك، محاولا أن يظهر هذه الدولة بأنها خير نصير للشعب الايراني في كفاحه ضد أميركا. وأنها ليست لها أطماع توسعية، بل تعادي كل تدخل في شؤون الشعوب الاخرى، وأن أيّ شعب لا يمكن أن يتخلص من نير الاستعمار الغربي ما لم يكن مستنودا من كتلة الدول (التقدمية) في العالم، و على رأسها الإتحاد السوفيتي.. وأمثالا من الاطراءات التي تتكرر في جميع مقالات توده وشعاراته.

لقد أفلس جانب مهم من هذه الشعارات في بداية الثورة الاسلامية، حين حَققت هذه الثورة، بفضل الله و مَنِّه، انتصارها المُبين على أكبر قاعدة أميركية في المنطقة، دون الاعتماد على أية قوة خارجية. وازداد إفلاس هذه الشعارات حين غزا الإتحاد السوفيتي أفغانستان، لمواجهة المعارضة الاسلامية في هذا البلد المسلم. بل وأفلست هذه الشعارات تماما، حينما اتفقت مصالح الاستكبار العالمي شرقيّه و غربيّه، على ضرب الثورة الاسلامية و تحجيمها و الوقوف بوجه امتدادها.

أصبح شعار «الموت للإتحاد السوفيتي» مقرونا دوما بشعار «الموت لأميركا» على لسان الجماهير المسلمة، كما أصبحت كلمة الاستكبار العالمي في حديث الشارع الايراني تعني كل القوى الكبرى، الرامية الى فرض سيطرتها المقيتة على الشعوب. و مئى حزب توده على هذا الصعيد بنكسة كبرى.

٥ - ورقة الدفاع عن الجمهورية الاسلامية

بدأت شعارات توده - المؤيدة للجمهورية الاسلامية - تتراجع بعد ندوات تلفزيونية، عُقدت مرة باشتراك كيانوري عن توده، و الشهيد بهشتي عن الجانب الاسلامي. و مرة أخرى باشتراك إحسان طبري عن توده، و الدكتور سروش و الاستاذ مصباح يزدي عن الجانب الاسلامي. و في هذه الندوات أحم

حزب توده سياسيا و ايدولوجيا في مسألة تأييده للنظام الاسلامي، ثم مُني بتراجع كبير حين خاب أمله تماما في تشكيل جبهة (تقدمية)، تضم الشيوعيين و المسلمين!! وازداد تراجعه حينما سيطرت الأمة المسلمة على جميع الأوضاع في البلاد، بما في ذلك الجمعيات الاسلامية في الدوائر و المصانع و القرى، هذه الجمعيات التي كان حزب توده يعقد عليها الآمال، و يراها أفضل طريق للنفوذ. و أمام كل تراجعاته في نشاطاته، و إفلاسه في شعاراته، أدرك أنه يقترب من مرحلة النهاية. فقرر أن ينتقل الى مرحلة سرية، من أجل بلورة أفراد و خطه، و صيانة وجوده من الذوبان و الانهيار.

في هذه المرحلة السرية، التي لم تدم طويلا، بدأ حزب توده يصدر تعاليمه الى أتباعه، بالتغلغل في أجهزة الدولة بجمطة و حذر شديدين، كما بدأ ينتقد بشدة برامج الجمهورية الاسلامية و مواقفها السياسية و الاقتصادية، و أنشأ خطأ عسكريا للحصول على المعلومات العسكرية و نقلها الى الاتحاد السوفيتي. و استمر في تحبّطه هذا حتى واجه نهايته المحتومة.

الانهار التام

واعترافات به آدين.

واعترافات كيانوري.

واعترافات محمد علي عسوي.

واعترافات خمسة من أعضاء اللجنة المركزية.

واعترافات الطاولة السيدية.

الجلسة الأولى - حول تاريخ الحزب.

الجلسة الثانية - للنخس.

الجلسة الثالثة - حزب توده و الثورة الاسلامية.

كثيرة هي الانهيارات التي مُنيت بها الاحزاب الشيوعية في العالم، وكثيرة هي الاعترافات التي صَدَرَتْ عن كوادرهذه الاحزاب بعد الانهيارات، لكن انهيار حزب توده واعترافات أعضائه في ظل الدولة الاسلامية لها ميزات قد أفرَدَتْ بها.

هذا الانهيار لم يأت - أولاً - نتيجة مساومات دولية، أي لم يأت نتيجة اتفاق بين موسكو وواشنطن في إطار لعبة الامم، كما لم يحدث نتيجة وفاق بين الجمهورية الاسلامية والكتلة الغربية، ولا يحتاج ذلك الى دليل. فكل من يفهم طبيعة الثورة الاسلامية في تعاملها مع الكتلتين الشرقية والغربية، ويعرف المواقف المتبادلة بين الجمهورية الاسلامية والكتلة الغربية يدرك هذا بوضوح.

ومن الطريف أن أذكر هنا أن أجهزة إعلام الغرب والشرق كلها اتخذت موقفا معاديا وسلبيا من هذه الاعترافات، وحتى وكالات الانباء الغربية والصهيونية حاولت أن تستهين بأنباء اعترافات حزب توده، وتقلل من أهميتها، وتشوّه حقيقتها فقالت مرة: إن هذه الاعترافات جاءت على أثر التعذيب الجسدي ثم استدركت وقالت بل حدثت على أثر المحاربة النفسية داخل السجن، لان التعذيب الجسدي - والقول لوكالات الانباء الغربية - يزيد عادة من صمود الشيوعيين واصرارهم. وراحت مرة أخرى تفتعل القصص الخيالية لتوحي أن انكشاف تنظيم حزب توده وافضاح مخططاته جاء نتيجة لجوء جاسوس بريطاني يعمل في السفارة الروسية بطهران

الى الغرب.

وهذه هي المرة الاولى التي تتخذ فيها وسائل إعلام الغرب مثل هذا الموقف السلبي من انهيار حزب شيوعي في العالم، إذ كان ذأب الاعلام الغربي أن يطبّل ويزمر لصالح الانظمة التي تنهار الاحزاب الشيوعية في ظلها. ولكن هذا الاعلام وقف هذه المرة الى جانب الاعلام الشرقي في موقفه السلبي من الجمهورية الاسلامية تجاه هذه الظاهرة، ولكن بصيغة مختلفة طبعاً.

والسبب واضح وهو أن انهيار حزب توده - كما ذكرنا - كان حدثاً، مثل سائر أحداث الدولة الاسلامية المباركة، خارجاً عن إطار الوفاق الدولي بين المستكبرين.

وهذا الانهيار - ثانياً - لم يسفر عن اقتراب الجمهورية الاسلامية من الغرب، كما يحدث عادة بعد انهيار الاحزاب الشيوعية في بلدان العالم. لقد كتبت صحف العالم ومجلاته كثيراً في بداية انهيار حزب توده عن نتائج هذه الظاهرة، وأجمعت تقريباً - انطلاقاً من مركزاتها الذهنية - على أن ذلك سيؤدي الى اقتراب إيران من الكتلة الغربية. غير أن كل هذه التخمينات تحولت الى سراب حينما أعلنت الجمهورية الاسلامية بحزم عن استمرار موقفها المتصلب من الغرب عامة، ومن أميركا بشكل خاص وأن أميركا لا تزال هي الشيطان الأكبر، وأن شعار «الموت لاميركا» سيبقى منطلقاً من أرض ايران مازال الصراع قائماً بين الاسلام والاستكبار العالمي^٧.

كان حزب توده يحس بشدة قبل الانهيار التام بأنه يعيش أزمة فكرية داخل الجمهورية الاسلامية، حتى بلغت هذه الازمة حد «الانهيار الفكري». ولكن هذا الحزب بقي محتفظاً بمعنوياته، لانه كان يشعر بارتباطه بقوة كبرى من جهة، وبعدم ارتباط الجمهورية الاسلامية بأية قوة كبرى، و بأية استخبارات عالمية من جهة أخرى. وهو لذلك كان واثقاً من بقاء

تنظيمه ومخططاته بمعزل عن أضواء النظام الاسلامي، ومن قدرته يوما على تسلّم السلطة وكسر طوق غربته الفكرية.

عمليات القاء القبض السريعة المتقنة على اعضاء اللجنة المركزية للحزب أدت الى «الانهيار النفسي» بين الكوادر المتقدمة وقد أدى هذا بدوره الى «الانهيار التنظيمي».

وهنا لابدّ من الاشارة الى أن ظاهرة الانهيار الفكري لحزب توده تعتبر الاولى من نوعها في العالم، لأن الارتداد عن الشيوعية كان غالبا ما يأتي نتيجة وقوع الشيوعيين في إغراءات الحضارة الغربية فيصابون بالتحلل الفكري والاسترخاء المعنوي والبطر النفسي فينسون التزاماتهم ويبدأون بصب اللعنات على القوالب الفكرية الماركسية والثناء على الحريات الديمقراطية!!

لكن الانهيار الفكري لحزب توده حدث هذه المرة أمام فكر اسلامي ثوري يخاطب فطرة الجماهير، ويتبنّى مشاكلها وآمالها وآمالها، و يدفعها للسير حثيثا على طريق التكامل المعنوي نحو خالقها، ويعطيها تصوراً حركيا تكامليا عن الكون والحياة والانسان. وأمام هذا الفكر الحركي الجماهيري الفطري تراجع الفكر الشيوعي وأصبحت بضاعته كاسدة، اللهم إلاّ بينَ عدد من المثقفين المتعالمين على الجماهير والمنفصلين عنها. و مثل هذا التبنّي للشيوعية يتعارض مع الشيوعية نفسها.

كما إن ظاهرة الانهيار النفسي كانت فريدة من نوعها أيضا، لأن الحزب كان واثقا من أنه يعيش في حصانة تنظيمية حديدية، وأن النظام الاسلامي لا يملك جهاز الامن والاستخبارات القادرين على كشف هذا التنظيم الحديدي. فالجمهورية الاسلامية حديثة العهد، ومشاكلها كثيرة، و خبرتها في كشف التنظيمات ضعيفة. ولذلك أذهلت عملية الاعتقالات الخاطفة الدقيقة^{٧٥} كوادر حزب توده وأفقدتهم صوابهم وراحوا يفرغون بسرعة ما في جعبتهم من معلومات.

ثم إن الانهيار التنظيمي كان فريداً من نوعه أيضاً إذ كشف أعضاء الحزب عن كل ارتباطاتهم دونما تردد أولف أودوران، وفضحوا بسرعة كل عناصر نفوذهم داخل أجهزة الحكومة والجيش، وأهم من كل ذلك أنهم كشفوا عن ارتباطاتهم بوكالة الاستخبارات السوفيتية «كي - جي - بي» وبيّنوا نوع المعلومات والتقارير التي كانوا يعثونها إلى الاتحاد السوفيتي، و أعلنوا لكل الاعضاء عن انحلال الحزب وانتهاء تنظيم توده في إيران إلى الأبد.

هذه الظواهر الجديدة نستطلعها من خلال إلقاء الضوء على ما نشر في اعترافات أعضاء حزب توده.

«به آذين» يعترف

محمود اعتمادزاده «به آذين» رئيس الجمعية الايرانية لانصار السلام. والامين العام لمجلس الكتاب والفنانين الايرانيين وصاحب صحيفة «اتحاد مردم» الاسبوعية. انضم الى الحزب الشيوعي (توده) عام ١٩٤٢م وكان لدى اعتقاله عضواً في اللجنة المركزية للحزب، و جدير بالذكر أن الجمعية والمجلس المذكورين واجهتا حزب توده تحركتا بعد اعتقال (به آذين) لمطالبة النظام الاسلامي باطلاق سراحه باسم حرية الرأي والقلم!!

خرج على شاشة التلفزيون. وأدلى باعترافات مهمة^٦ دارت حول الانهيار الفكري لحزب توده وخياناته، والمهم في هذه الاعترافات هو تأكيد «به آذين» على انهيار الماركسية في إيران أمام الفكر الاسلامي النظري والعملي. فهذا الرجل يحتل مكانة مهمة في الحزب على الصعيد الأدبي والتنظيري، ويعتبر من الأدمغة المفكرة في الفكر الماركسي والأدب اليساري.

إفلاس الماركسية:

قال محمود اعتمادزاده في اعترافاته: «قبل كل شيء لابد من القول: إن الماركسية في إيران وصلت الى

طريق مسدود، بعد انتصار الثورة الاسلامية و استتباب سيادة الاسلام المطلقة و ليس للماركسية أي مجال للحياة السياسية في إيران.

و سبب وصول الماركسية الى طريق مسدود في إيران يعود بالدرجة الاولى إلى وجود الاسلام، الاسلام الثوري الذي جعل الماركسية تشعرُ بالافلاس أمام نظرية منسجمة و متبناة من قبل الجماهير المليونية في إيران.

هذا الاسلام أبرز نفوذه و رسوخه في وجدان الجماهير المليونية الايرانية و خاصة المستضعفين بصور مختلفة. إحدى هذه الصور هيمنة الثقافة الاسلامية. و لا بد من التأكيد على أن مستضعفي إيران، مدنيهم و قرويهم لهم ارتباط وثيق بعلماء الدين المسلمين و هذا الارتباط الثقافي العريق الذي يمتد لقرون متطاوله يحتمل الجماهير نوعاً من المسؤولية التي تبعدهم عن تبني كل فكرة غير إسلامية.

و المسألة الاخرى: هي أنّ انتصار الثورة الاسلامية في إيران، و استتباب حاكمية الاسلام التامة في إيران، قد تمّا باشتراك الجماهير الشعبية المليونية، و خاصة المستضعفين و بقيادة الامام الخميني طبعاً. و بفضل توجيهات علماء الدين الملتزمين التي استطاعت أن تدفع حركة الجماهير المعارضة باتجاه إسلامي.

هذه الحاكمية الاسلامية، التي جاءت عقب انتصار الثورة في إيران، قد وقّرت كل الوسائل المادية و المعنوية اللازمة لحل مشاكل المستضعفين في إيران، و إنقاذهم من الحرمان و الظلم و الاستثمار... من هنا فالماركسية في هذا المجال لم تعد تملك ما تعمله للجماهير المستضعفة.

الماركسية تستطيع أن ترفع الشعارات ولكن أين الشعار من العمل؟ فالعمل — من أجل المستضعفين — هو ما نهضت به الدولة الثورية الاسلامية، و قد فعلت حتى الآن الكثير».

و استمر «به آذنين» يتحدث عن انهيار الماركسية أمام خط الاستقلال السياسي فقال:

«المسألة الاخرى، مسألة شعار: لاشرقية و لاغربية. هذا الشعار

يستهدف أولاً تأمين استقلال البلاد، و يروم ثانياً رفض كل طريق و حضارة، و نظام حكم و تركيب مجتمع، على الطراز الشرقي أو الغربي.

هذه المعتقدات راسخة في أذهان و وجدان الجماهير المستضعفة الايرانية

التي حققت بدمها انتصار الثورة واستمراريتها. والماركسية في هذه الحالة لا تستطيع أن تشق طريقها في أذهان هؤلاء ونفوسهم».

وراح «به آذين» يتحدث عن انهيار الماركسية في إيران أمام العقيدة الإلهية التي تسمو بالإنسان وتنتشله من حضيض المادة فقال:

«ثمة مسألة أخرى هي ان الماركسية لاتهم بالإنسان وبجانبه الروحي بالشكل اللازم، بل ينبغي أن نقول إنها لاتهم بذلك إطلاقاً من منظار معين، هو منظار الجانب الإلهي في الإنسان ومن هذه الجهة أيضاً لا تجد الماركسية لها مكاناً بين جماهير الشعب».

خيانة اليسار

في هذه المقابلة راح هذا المفكر الماركسي والحزبي، والصحفي، والاديب اليساري العريق يتحدث عن خيانات حزب توده واليسار عامة في:

* الحركة الدستورية ، وكيف أن اليساريين من أمثال «حيدر عمو أوغلي» استطاعوا أن يخلعوا سلاح الثوار الدستوريين القادمين من تبريز بقيادة ستارخان وباقرخان.

* وفي إحباط حركة الغابة المعادية للاستعمار في شمال إيران.

* وفي تأييد اليسار بقيادة سليمان اسكندري لحكومة الدكتاتور رضاشاه مما ساعد على استتباب الحكم هذا الطاغية.

* وفي خيانتته للسيادة الوطنية في حادثة إقامة جمهورية آذربايجان الإيرانية.

* وفي إصراره على منح السوفيت امتياز نفط الشمال أيام حكومة الدكتور مصدق.

* وفي تأييده لما يسمّى بإصلاحات الشاه.

* وفي عمالته التامة للاتحاد السوفيتي.

وقد ذكرنا من قبل بالتفصيل هذه الخيانات ولا حاجة الى إعادة

ذكرها على لسان «به آذين».

ثم تحدث الرجل عن خيانات حزب توده بعد انتصار الثورة
الاسلامية بشكل موجز، قائلاً:

«إن السكرتير العام للحزب «كيانوري» أغرق مني بهذه الخيانات،
وسيشرحها هو بنفسه بالتفصيل». ثم قال:

«في الظروف الحالية لحزب توده حيث الخيانات التي ارتكبتها، ونقضه
المتكرر لقانون الجمهورية الاسلامية الايرانية وتجنسه لصالح الاتحاد السوفيتي، و
تدبيره مؤامرة الاطاحة بالحكم، لم يبق أي مجال لحسن الظن به... وهو الآن
كجثة متعفنة يجب دفنها بسرعة كي لا تسري عفونها الى أذهان البسطاء من
الشباب... وأعترف اني ارتكبت خطأ فاحشاً وذنباً كبيراً بحق نفسي، وبحق
الجماهير المستضعفة الايرانية التي حققت بدمها وتضحياتها النصر للثورة
الاسلامية الايرانية ولا زالت تضحى للمحافظة عليها... وأنا مستحق للعقاب».

اعترافات «كيانوري»

نور الدين كيانوري مر ذكره آنفاً. انتمى الى حزب توده
سنة ١٩٤٢... اعتقل عام ١٩٤٦، وكان انذاك عضواً في اللجنة المركزية
للحزب،... ثم فرّ من السجن، وغادر ايران الى أوروبا وأقام في الاتحاد
السوفيتي والمانيا الشرقية... اختلف مع اللجنة المركزية المقيمة خارج
إيران مرات. وانتُخب في أوائل اندلاع الثورة الاسلامية سكرتيراً أولاً للجنة
المركزية للحزب الشيوعي الايراني «توده».

خيانات الحزب للجمهورية الاسلامية

ركز كيانوري حديثه في هذه المقابلة^{٧٧} على الخيانات التي ارتكبتها
حزب توده بعد انتصار الثورة الاسلامية ونقضه الصريح لقانون الجمهورية

الاسلامية، مع تظاهره باحترام الدستور وقوانين الجمهورية.

نختصر ماجاء في اعترافات كيانوري بشأن هذه الخيانات فيما يلي:

١- التجسس لصالح الاتحاد السوفيتي: فقد كان الحزب يعد تقارير عن الوضع السياسي والعسكري للجمهورية الاسلامية في إيران و يسلمها بين آونة وأخرى الى السوفيت.

٢- الاحتفاظ بالسلح: فحزب توده حصل فيمن حصل على السلاح من المعسكرات بعد انهيارها نتيجة انتصار الثورة الاسلامية، ولكنه لم يسلمها - كما فعلت الجماهير - بل احتفظ بها وأخفاها.

٣- تأسيس تنظيم سري: وهذا التنظيم قواه حزب توده خاصة بعد أن أعلن المدعي العام في الجمهورية الاسلامية حظر أي نشاط حزبي سري في البلاد، وهذا التنظيم السري نشط خاصة في حقل جمع المعلومات، و هكذا انساق الحزب الى الجاسوسية.

٤- السعي للتغلغل في أجهزة الدولة بقناع التظاهر والنفاق و التملق.

٥- محاولة إيجاد تنظيم سري عسكري داخل القوات المسلحة لجمع المعلومات العسكرية.

٦- الخروج غير القانوني من الحدود خاصة في الفترة الاخيرة من عمر الحزب.

ثم قال كيانوري:

«أعتقد أن جرائمنا ثقيلة فهي تدخل في إطار الجاسوسية والخيانة، و نقض القانون وهي ثقيلة الى درجة نستحق معها أشد العقاب، والجمهورية الاسلامية محقة في أن تنزل بحقنا العقاب الذي ترتبته. ونحن مسؤولون عن كل هذه الجرائم»^{٧٨}.

خمسة من أعضاء اللجنة المركزية يعترفون

في دفعة واحدة خرج خمسة من أعضاء اللجنة المركزية لحزب توده على شاشة التلفزيون ليعترفوا بخياناتهم وخيانات حزبهم^{٧٩}».

الاول: غلام حسن قائم پناه:

قال: «تخرجت في الكلية العسكرية عام ١٩٣٧ وحين كنت في الكلية انتميت الى حزب توده، وفي عام (١٩٥٠) هربت من الجيش الى الاتحاد السوفيتي. فأقت فيه وفي بلدان إشتراكية أخرى. ومنذ دخولي الاتحاد السوفيتي تعهدت بالتعاون مع وكالة الاستخبارات السوفيتية — كي — جي — بي — و استمر هذا التعاون بأشكال مختلفة. وكنت حين اعتقالي عضواً في اللجنة المركزية لحزب توده وعضو لجنة التفتيش والمتابعة ومحوراً في صحيفة (مردم)».

سأله مقدم البرنامج عن عمالة حزب توده للاتحاد السوفيتي وتبعيته السياسية والتنظيمية للدولة الشيوعية الام فقال:

«إن حزب توده أسس في العشرينات على يد أفراد تخرجوا في الجامعات الشيوعية في الكتلة الشرقية من أمثال: بقراطي، وأوانسيان، وروستا، وكانت الفردية الستالينية الحاكمة آنذاك تستهدف إنشاء أحزاب في الدول الآسيوية مرتبطة بالسياسة السوفيتية، لجمع المعلومات لصالح الاتحاد السوفيتي».

مواقف السوفيت المصلحية:

واصل «قائم بناه» حديثه عن السياسة المصلحية للاتحاد السوفيتي و الكتلة الشرقية مؤكداً ابتعاد هذه السياسة عن المبدئية، وموضحاً أن حزب توده أيضاً كان دوماً يدور في فلك هذه السياسة، ويرضخ لارادة السوفيت و ذكر لذلك أمثلة وقال:

«اقتضت سياسة الاتحاد السوفيتي أن يساند الحزب الديمقراطي الآذربايجاني، والحزب الديمقراطي الكردستاني في الاربعينات؛ وبهذه المساندة أسس الحزبان جمهوريتين غرب إيران مدعومتين من قبل الجيش الاحمر ثم اقتضت سياسة السوفيت أن يسحبوا تأييدهم لهاتين الجمهوريتين فانسحب الجيش الاحمر و تعرضت هاتان المنطقتان والحزبان الى مجزرة دموية على يد الشاه.

تغيير السياسة هذا جاء عقب زيارة قوام السلطنة للاتحاد السوفيتي حيث وعد السوفيت بمنحهم امتياز نفط الشمال و على أثر ذلك سحب الاتحاد السوفيتي حمايته للديمقراطيين الآذربايجانيين و الاكراد. و أكثر من هذا أوغز الى حزب توده أن يدخل في حوار مع حكومة قوام المعادية للجماهير. و انتهى الامر بدخول ثلاثة أعضاء من حزب توده في وزارة قوام السلطنة.

والمسألة الأخرى هي مسألة تأمين النفط خلال الاعوام ١٩٥١-١٩٥٣ م. في هذه المسألة وقف حزب توده موقف المثبط للحركة الوطنية الرامية الى إلغاء الامتيازات الاجنبية، و مع أن الحزب كان لديه كوادر كثيرة في الجيش لكنه لم يتحرك في الانقلاب العسكري الذي أطاح بالحركة الوطنية، كل ذلك لأن الحزب خاضع تماماً لسياسة الاتحاد السوفيتي. و لا يتخذ أية خطوة دونما صدور أوامر من السوفيت.

بعد الانقلاب الاميركي الذي أعاد الشاه الى الحكم فر أكثر أعضاء قيادة الحزب و الكوادر الاخرى الى الاتحاد السوفيتي و شاهدت بأمر عيني مدى تبعية و خضوع الحزب للسياسة السوفيتية أثناء إقامتنا في الاتحاد السوفيتي و المنظومة الاشتراكية.

كان السوفيت يتدخلون في كل قرارات الحزب، بل كانوا يتدخلون ايضا في فصل بعض الافراد من الحزب. في أوائل الستينات تحسنت علاقات نظام الشاه الخائن مع الاتحاد السوفيتي على الصعيد الاقتصادي والتجاري. ومن أجل تعميق هذه العلاقات و توطيدها، حظرت الحكومة السوفيتية تقريبا كل نشاطات مؤسسات حزب توده، و أغلقت واجهاته، في الاتحاد السوفيتي، وأسست بدلا من تلك (جمعية المهاجرين السياسيين).

وقبل انتصار الثورة الاسلامية بعامين أو ثلاثة أعوام كان لدى حزب توده محطة إذاعية في بلغاريا باسم «بيك ايران»^{٨٠}، وبعد أن تحسنت علاقات الشاه المقبور ببلغاريا أخذوا من حزب توده هذه المحطة أيضا. ومع كل هذه المضايقات والمفارقات فان توده كان يصصر على تقديم كل فروض الطاعة والولاء للاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية. اذ لم تكن مواقف الحزب تدور حول محور مصلحة الشعب الايراني، بل حول محور مصالح الاجانب.

المواقف المصلحية التي يتحدث عنها هذا القيادي الشيوعي الايراني، ليست بغريبة على من له أدنى اطلاع على مواقف الاتحاد السوفيتي من الاحزاب الشيوعية في العالم عامة، فهذه الاحزاب تشكل دوما ورقة راجحة بيد السوفيت يساومون بها عند جلوسهم على طاولة المحادثات مع الحكومات الاخرى.

أضف الى ذلك أن الايديولوجية الشيوعية في اعماقها - لافي شعاراتها - لا تفهم القيم الخلقية، والالتزامات الرسالية، بل هي مصلحة مادية، ومن هنا فإن سياسة الشرق لها نقاط التقاء كثيرة، ومحاولات تفاهم عديدة مع سياسة الغرب، وطالما التقت هاتان السياستان لمواجهة عدو مشترك واحد كما حدث من قبل تجاه صين ماوتسي تونغ و كما يحدث اليوم تجاه الملة الاسلامي الهادري في العالم الاسلامي.

الاتحاد السوفيتي سجل أخيراً من الحرب الايرانية - العراقية أفضع موقف مصلحي في تاريخ السياسة السوفيتية الخارجية. فنظام الحكم في

العراق المدعوم من قبل فرنسا وأميركا وبريطانيا والمُستد من قبل عملاء الغرب وأميركا في المنطقة من أمثال حسين وحسن/وقابوس وفهد ومبارك ، قد أصبح موضع تأييد علي صريح من قبل الاتحاد السوفيتي في حربه ضد الجمهورية الاسلامية.

لقد كان الاتحاد السوفيتي يرسل أثناء الحرب الاسلحة والمعدات الى نظام صدام بحجة المعاهدة العسكرية السوفيتية العراقية، أما في إعلامه وبياناته فكان يتخذ موقف المحاييد على الظاهر، لكنه بعد تصفية عملائه وافتضاح خططه، ويأسه من الحصول على التفاحة المتهرئة التي وعد بها لينين اتخذ موقفاً واضحاً مسانداً للعراق في حربه العدوانية الغادرة ضد الجمهورية الاسلامية.

خيانة الحزب للثورة الاسلامية:

ثم تحدث «قائم پناه» عن موقف حزب توده من الثورة الاسلامية و أكد أن الحزب كان يدين الثورة الاسلامية قبل انتصارها ويرفض تأييد حركة علماء الدين. ولكن جناح كيانوري كان وحده يصر على ضرورة التظاهر بتأييد الثورة وعلماء الدين كي لا يتخلف أكثر عن الجماهير، وحينما أشرفت الثورة على الانتصار، عقد الحزب في الخارج مؤتمره السادس عشر و انتخب كيانوري سكرتيراً أولاً للجنة المركزية للحزب.

وواصل حديثه عن خيانات الحزب بعد انتصار الثورة الاسلامية و

خاصة في حقل التجسس لصالح الاتحاد السوفيتي فقال:

«بسبب مسؤوليتي في لجنة المتابعة والتفتيش كنت أتردد باستمرار على التنظيمات الحزبية في المدن، و كنت أرى في جميع الاجتماعات الحزبية ظاهرة اصرار المسؤولين على جمع المعلومات وكتابة التقارير عن الاوضاع والتغلغل داخل المؤسسات الثورية لكسب الاخبار. وكانت كل هذه المعلومات تبوب، وترسل الى اللجنة المركزية للحزب، بل الى السكرتير الاول بالذات، و كان هذا يأخذ المعلومات المبوبة ويوصلها الى السوفيت عن طريق سفارة الاتحاد السوفيتي أو

سفارة أفغانستان في طهران، أو عن طريق شركة تجارية لنقل البضائع من الاتحاد السوفيتي»

وأشار «قائم بناه» أيضاً الى مواقف حزب توده من الاحتلال السوفيتي لأفغانستان ومن الحرب المفروضة على الجمهورية الإسلامية وقال: «إن الحزب — على لسان سكرتيره الاول — كان يؤيد موقف الاتحاد السوفيتي بشكل علني من القضيتين، فكان يدافع عن دخول الروس في أفغانستان، ويبرر إرسال الاسلحة السوفيتية الى العراق متحدياً بذلك سياسة الجمهورية الإسلامية وعواطف أبناء الشعب الايراني المسلم».

الثاني: رفعت محمد زاده

قال: «أنا عضو اللجنة المركزية، وعضو المكتب السياسي للجنة المركزية لحزب توده وكانت مسؤولياتي هي: مسؤول قسم التعليم ومسؤول قسم التحقيق.

هاجرت الى الاتحاد السوفيتي عام ١٩٥١ وفي ذلك العام أصبحت عضواً في وكالة الاستخبارات السوفيتية وبقيت فيها عضواً حتى زمن اعتقالي».

الثالث احمد علي رسدي

قال: «أنا عضو اللجنة المركزية لحزب توده ومسؤول شعبة التفتيش والمتابعة لمدن ايران. وعضو شعبة التفتيش والمتابعة التابعة للجنة المركزية للحزب.

هاجرت الى الاتحاد السوفيتي عام ١٩٤١م، وبعدها ببضع سنوات بدأت بالتعاون مع الاستخبارات السوفيتية.. بعد اندلاع الثورة الإسلامية جئت الى ايران حيث اشركت مع اثنين آخرين من أعضاء الحزب في تأسيس شركة تجارية تمارس في الواقع مهمة التجسس لصالح السوفيت.

وبعد انتصار الثورة الإسلامية سافرت ثلاث مرات الى الخارج بما في ذلك الاتحاد السوفيتي وهناك التقيت مرتين برجال الاستخبارات السوفيتية — كي — جي — بي — وكنت في الواقع أعمل لصالح هذه المخابرات اثنين وثلاثين عاماً».

الرابع: كايك أو انسيان

قال: «أنا عضو اللجنة المركزية ومسؤول الجهاز الاداري بعد الثورة كنت عضواً ارتباط بين الحزب والمسؤولين السوفيت وكنت أسلم المعلومات المجموعة عن طريق الحزب الى المسؤولين السوفيت».

الخامس: كيومرت زرشناس

قال: «دخلت الحزب سنة ١٩٦١ حين كنت في اوروبا الغربية وأصبحت مسؤول تنظيم الشباب في أوروبا الغربية، ثم عضواً للجنة المركزية، ثم مسؤول تنظيم الشباب في الحزب كله. وكنت لمدة ثماني سنوات أعمل لصالح شبكات التجسس التابعة للكتلة الشرقية».

سأله مقدم البرنامج عن المواقف المناهقة المرائية لحزب توده، فاستعرض «زرشناس» تاريخ المواقف المناهقة للحزب من الحركات الوطنية والتحررية والدينية ثم عرج على الحديث عن هذه المواقف تجاه الجمهورية الاسلامية وخاصة فيما يتعلق بأفغانستان والحرب البعثية العراقية المفروضة على الجمهورية الاسلامية ومسألة كردستان إيران ومسألة المنافقين. مبيناً أن كل هذه المواقف كانت مؤطرة بطابع من النفاق والتذبذب والدجل والازدواجية ولم يأت «زرشناس» بشيء جديد يذكر، وإنما اعاد مقاله رفاقه.

اعترافات محمد علي عموي

مرذكره من قبل، ويبدو انه لم يتورط في التجسس المباشر بسبب وجوده في السجن مدة تزيد على أربعة وعشرين عاما. بعد خروجه من السجن كان أكثر أعضاء اللجنة المركزية تحمساً لاتخاذ مواقف منسجمة مع سياسة الجمهورية الاسلامية الداخلية والخارجية، وبعد اعترافات أعضاء اللجنة المركزية وسكرتيرها الاول بالتجسس والعمالة أصبح الآن أكثر المتحمسين لدفن حزب توده ولفضح جرائمه، وهو الذي أدار طاولة مستديرة في ثلاث حلقات، اجتمع حولها أعضاء اللجنة المركزية للتحدث عن خيانات الحزب كما سنرى.

قال^{٨١} «انخرطت في حزب توده عام ١٩٤٦ حين كنت طالبا في الاعدادية، وعند قبولي في الكلية العسكرية انقطعت علاقتي بالحزب، ثم عدت الى الانتماء بعد التخرج واصبحت سنة ١٩٤٩ عضوا في التنظيم العسكري للحزب وارتقيت الى درجة مسؤول منطقة في التنظيم، وفي سنة ١٩٥٤ اعتقلت مع سائر أعضاء التنظيم العسكري وبقيت في المعتقل ٢٤ عاما وعدة أشهر، أي حتى عام ١٩٧٨ حين استطاعت عاصفة الثورة الهادرة أن تطلق سراح جميع المعتقلين السياسيين. لقد تمتعت بأولى ثمار الجهود الثورية لشعبنا.

بعد عودة النشاط العلني للحزب، انتميت اليه. كنت قبل ذلك قد انتخبت غيبياً عضواً في اللجنة المركزية، ثم أصبحت عضواً في الهيئة السياسية

للحزب، وفي المؤتمر الاخير للحزب انتخبت عضواً في هيئة أمنائه. «
عمومي أشار في حديثه الى ما قاله رفاقه، ثم بوب اعترافاتهم، وأدان
بشدة وعصبية جرائم الحزب — ماضيها وحاضرها — وأبدى نفوره الشديد
من عمليات التجسس التي ارتكبتها الحزب، ثم أعلن انحلال الحزب، ووجه
كلمة الى أنصار الحزب جاء فيها:

اعلان حلّ حزب توده

«لقد اختار الحزب طريقاً غير قانوني، وبلغ المرحلة التي ينبغي أن يبلغها.
إنه أصدر حظره على نفسه بنفسه. ما أوضحه المشاركون في هذه المقابلة لا يدع مجالاً
للسك في ضرورة حل هذا الحزب بشكل دائم . وزارة الداخلية هي المسؤولة طبعاً
عن إصدار قرار قانوني بهذا الشأن، لكنني باعتباري احد مسؤولي الحزب يحق لي أن
أعلن بصراحة حل هذا الحزب، أعلن أنه لا يوجد بعد اليوم حزب باسم «حزب
توده».

حل هذا الحزب نتيجة طبيعية ومنطقية تماماً لمجموع ما ارتكبه من أعمال
خلال حياته السياسية».

نداء الى أنصار الحزب

ثم وجه عمومي نداءً الى انصار الحزب هو في الحقيقة نداء الى كل
المخدوعين بالشعارات اليسارية في العالم، قال فيه: «أوجه ندائي الى الشباب،
خاصة أولئك الذين اندفعوا من أجل بناء أمتهم ووطنهم فسلكوا طريقاً ترون اليوم
نهايته بوضوح، طريقاً ليس فيه لسالكه سوى الفضيحة والاسف والعار.
لقد اندفعتم الى الانخراط في الحزب — أيها الاخوة — متأثرين بشعارات
الحزب البراقة. وها أنتم تسمعون اليوم الحقائق من لسان قادة هذا الحزب وترون
الفارق الكبير بينها وبين ما سمعتم وما قرأتم في نشرات الحزب وأدبياته.
أنعموا النظر مرة أخرى فيما سمعتم من اعترافات ليتبين لكم الوجه
الحقيقي لهذا الحزب الذي انتميمت اليه.

حزبكم ليس حزب الجماهير المحرومة الكادحة، حزبكم ليس حزباً أصلاً، إنه العوبة بيد الاتحاد السوفيتي.

لو كنتم تكنون في أعماقكم حباً لشعبكم، لو كنتم تحترمون شخصيتكم واستقلالكم الذاتي فعودوا الى أنفسكم قبل أن تصبحوا العوبة لا ارادة لها إفتحوا أعينكم، فهذا البلد يشهد حقائق هزت العالم. في هذا البلد ملايين المواطنين يحملون أعباء مسؤولية كبرى و يضحون من أجلها. أزيلوا الغشاوة عن أعينكم لتروا أي طريق عظيم بطولي يسلكه بلدكم، وأي مستنقع عفن آسن انحدر اليه حزبكم!!

مسمعتموه في هذه المقابلة على لسان المسؤولين الحزبيين جديد عليكم،

ولعله أثار دهشتكم، إنها الحقيقة.. حقيقة الوجه الذي يحمله هذا الحزب.

.. لقد آن أوان اتخاذ القرار.. عليكم أن تفهموا الحقيقة على مرارتها.

وأنتم أيها الشباب تملكون شجاعة قبول الحقيقة. لتكن لديكم الجرأة على الخروج

من الشرنقة التي فرضها الحزب عليكم ليفصلكم عن الجماهير الثائرة. أنقذوا

أنفسكم من التعصب الحزبي، عند ذلك ستفهمون طريق الحياة الحرة والفكر الحر.

إنكم تسمعون هذا الكلام من حزبي قضى عمره في معرفة الحزب. إنكم

تعرفوني ولا أريد أن تتورطوا فيما تورطت فيه وأنا عليه اليوم فادم.

أنا واثق أن إعلان حل الحزب سيكون الخطوة الأولى للتخلص من

الشرنقة التي أحطمت بها. وتبقى القيود الذهنية المفروضة عليكم، وإزالة هذه القيود

ليس بالصعب أيضا . ما عليكم إلا أن تنعموا النظر في اعترافات هذه المقابلة،

وتعرفوا شخصيات المعترفين، عند ذلك لا يبقى للتلقينات الحزبية أي تأثير على

أذهانكم».

اللهم صل على محمد وآل محمد
 عمولي أشار في حديثه الى ما قاله
 به حقيقة من غير شك ولا شبهة
 علمه عليه السلام الكافي عن
 كونه الامام ابي بكر الصديق
 وصحبه ابي بكر الصديق
 لظلاله في آخرة وعقده
 وقد اخطرت الحرب طرفاً غير قليل
 ان يولي عليه من غير ان يولي
 للشك في سيرة النبي صلى الله عليه
 والى ان يولي قبيصة لم يبق
 في وجه ابي بكر الصديق
 ايضاً. فبما ان به ابي بكر
 هذا اذ قال في ابي بكر الصديق
 بطلان ما في ابي بكر الصديق
 وهذا مما عرفت ان في شجرة
 في رطلها ما لا يقبلها كمال
 عبيد الله قال في كماله
 وقد اذنا ما عرفت ان في
 في ابي بكر الصديق
 خاصة اولئك الذين اذعنوا
 فيهم وطريقاً ليس فيه
 بعد ان دعيت الى الامم
 الحرب المبررة. وما اتم
 الفارق الكبريما وبين
 اجماعنا البظن مرة اخرى
 الحقيق على الحرب التي

اعترافات الطاولة المستديرة

الحلقة الاولى - حول تاريخ الحزب

إشترك ثمانية عشر من أعضاء القيادة المركزية لحزب توده في حوار مفتوح حول طاولة مستديرة، وأدار هذه الطاولة محمد علي عموي (مرّ ذكره) وتم تنظيم الحوار في ثلاث حلقات نلقي الضوء هنا على اعترافات الحلقة الاولى.^{٨٢}

المشاركون يعرفون أنفسهم

- ١ - محمد علي عموي - مرّ ذكره
- ٢ - غلام حسن قائم پناه - مرّ ذكره
- ٣ - نور الدين كيانوري - مرّ ذكره
- ٤ - أحمد علي رصدي - مرّ ذكره
- ٥ - كا كيك أو انسيان - مرّ ذكره
- ٦ - منوچهر بهزادي، قال:

«سنة ١٩٤٥ إنتميت الى حزب توده، ذهبت الى خارج البلاد عام ١٩٥٤ وبعد انتصار الثورة الاسلامية الكبرى عدت إلى إيران. آخر مسؤولياتي

كانت عضوية الهيئة السياسية وعضوية هيئة الأمناء، ومسؤول قسم المنشورات في الحزب».

٧ - مهدي كيهان، قال:

«أنا عضو اللجنة المركزية لحزب توده، والمشرف على القسم العمالي المركزي إنتميت الى الحزب عام ١٩٤٤، وأصبحت عام ١٩٧٦ عضواً في اللجنة المركزية للحزب، أنا من الضباط الذين شاركوا في حركة خراسان وأحداث آذربايجان. لجأت الى الاتحاد السوفيتي عام ١٩٤٦ وخلال إقامتي هناك تعاونت مع الاستخبارات السوفيتية، بعد انتصار الثورة الاسلامية عدت الى ايران»

٨ - آصف رزم ديده:

«عضو اللجنة المركزية، انتميت الى الحزب عام ١٩٦١، اعتقلت عام ١٩٦٧، خرجت من السجن خلال أحداث الثورة الاسلامية الكبرى ومارست عملي في القسم المركزي من القطاع العمالي للحزب».

٩ - عباس حجري:

«إنتميت الى الحزب عام ١٩٤٥، أُعتقلت عام ١٩٥٤ مع من اعتقل من أعضاء التنظيم العسكري، وبقيت في السجن حتى أيام الثورة الاسلامية. أنتخبت في المؤتمر السادس عشر عضواً في اللجنة المركزية. وبعد عودة الحزب الى النشاط العلني أصبحت عضواً في الهيئة السياسية وهيئة الامناء ومسؤول فرع طهران».

١٠ - علي گل آويز:

«بدأت حياتي السياسية عام ١٩٤٥. في سنة ١٩٤١ ذهبت الى الاتحاد السوفيتي وبقيت ٣٣ عاماً أتقل بين الاتحاد السوفيتي وبلغاريا وألمانيا الشرقية. في سنة ١٩٦٠ انتميت رسمياً الى حزب توده وفي عام ١٩٧٨ انتخبت عضواً في اللجنة المركزية. وبعد انتصار الثورة الاسلامية الكبرى عدت الى وطني. آخر مسؤولياتي كانت مسؤول فرع كردستان».

١١ - حسين جودت:

«ولدت سنة ١٩٠٨، أستاذ متقاعد لكلية الهندسة في جامعة طهران. قبل

٤١ عاما إنتميت الى حزب توده عام (١٩٤٨). أنتخبت عضواً في اللجنة المركزية ثم عضواً في اللجنة التنفيذية وفي نفس هذا العام أعتقلت وبقيت في السجن عامين... هربت مع أعضاء اللجنة المركزية المعتقلين من السجن، مارست بعدها العمل السري خمس سنوات في طهران، ثم ذهبت الى الاتحاد السوفيتي حيث بقيت خمسة أعوام، بعد ذلك سافرت الى ألمانيا الديمقراطية مدة تسعة عشر عاما... عدت الى إيران بعد انتصار الثورة الاسلامية في عام ١٩٧٨ أنيطت بي مهمة الشؤون العمالية للحزب بسبب سوابقي في الاتحادات العمالية ثم قدمت استقالي من هذه المهمة بسبب مرضي، وبقيت أشرت في اجتماعات الهيئة السياسية للحزب».

١٢ - رضا شلتوكي:

«عضو الهيئة السياسية، وعضو هيئة الامناء، ومسؤول شؤون المدن انتميت الى التنظيم العسكري للحزب، ثم اعتقلت وبقيت في السجن حتى اندلاع الثورة الكبرى حيث افرج عني».

١٣ - فرج الله ميزاني المعروف ب «جوان شير»

إنتميت الى الحزب عام ١٩٤٦، وكانت لي منذ ذلك الوقت مسؤوليات مختلفة. عام ١٩٥٧ ذهبت الى خارج البلاد، وعدت بعد انتصار الثورة. منذ عشرين عاما انتخبت عضواً مشاوراً في اللجنة المركزية للحزب وقبيل انتصار الثورة أصبحت سكرتيراً للجنة المركزية للحزب وبعد انتصار الثورة كنت المسؤول العام عن الجهاز التنظيمي لحزب توده».

١٤ - انوشيروان إبراهيمي :

«عضو الهيئة السياسية وسكرتير اللجنة المركزية لحزب توده ومسؤول فرقة الديمقراطيين الأذربايجانيين ومسؤول تنظيم الحزب في آذربايجان. انتميت الى الحزب في سنين مبكرة من حياتي، وفي سنة ١٩٤٦ انتميت الى فرقة الديمقراطيين الأذربايجانيين. بعد فاجعة سقوط حركة آذربايجان هربت مع عدد كبير من المواطنين الى الاتحاد السوفيتي، ثم تعاونت في آذربايجان السوفيتية مع الاستخبارات السوفيتية. وفي سنة ١٩٧٤ ذهبت الى ألمانيا الشرقية بقرار من

اللجنة المركزية للحزب و بعد انتصار الثورة عدت الى ايران وانيطت بي مسؤولية فرقة الديمقراطيين الأذربايجانيين».

١٥ - محمد مهدي پرتوي المعروف ب «خسرو».

«منذ سنة ١٩٧٤ كنت من مؤسسي تنظيم «نويد» التابع لحزب توده و بعد انتصار الثورة الاسلامية توليت مسؤولية التنظيم السري للحزب. في المؤتمر السادس عشر انتخبت غيايبا لعضوية اللجنة المركزية ثم انتخبت أيضا لعضوية الهيئة السياسية ومستشاريتها».

١٦ - محمد پور هرمان:

«عضو اللجنة المركزية، ومسؤول مطبوعات الحزب. انتميت الى حزب توده سنة ١٩٤٢ و كنت حينذاك ضابطا في الجيش، اشتركت في حركة ضباط خراسان سنة ١٩٤٥، و عدت بعد انتصار الثورة».

١٧ - فريدون تفرشي:

«انخرطت في حزب توده عام ١٩٤٩. سجنيت بعد الانقلاب العسكري الذي اطاح بحكومة الدكتور مصدق و بقيت حتى اندلاع ثورة الجماهير عام ١٩٧٧، بعد انتصار الثورة استأنفت نشاطي في الحزب، و كنت مسؤول لجنة القطاع الرابع لناحية شمال إيران».

١٨ - شاهرخ جهانگيري:

«انتميت الى الحزب عام ١٩٧٣، و كنت من أعضاء المجموعة الحزبية التي سميت فيما بعد بمنظمة «نويد». بعد انتصار الثورة الاسلامية أصبحت أحد مسؤولي التنظيم السري. في المؤتمر السابع عشر أنتخبت عضواً في اللجنة المركزية للحزب».

عندما أدلى المشاركون في هذه الندوة باعترافهم ضم بعضها عبارات مكررة و معادة فاضطررنا الى اختصار و حذف المتكرر منها بينما ضم البعض الآخر أموراً جديدة لذلك ركزنا عليها و هذا ما سنفعله أيضا في الحلقتين الثانية و الثالثة من هذه الطاولة المستديرة.

محمد علي عمومي:

«في هذه المقابلة ستسمعون من لسان قادة الحزب مسائل لم تروها في نشرات الحزب وأدبياته، بل إنها من المسائل التي حاول الحزب دوماً أن يخفيها ويطمس معالمها وآثارها...»

لعل بيان هذه الحقائق يستطيع أن يزيل ماعلق في أذهان أنصار الحزب من مسخ للحقائق، ومن تشويه لما يجري في إيران والعالم.

هذا هو دافعنا لعقد هذه المقابلة الجماعية، وهذه الطاولة المستديرة باشتراك زعماء الحزب وكبار مسؤوليه كي نبين — قدر ما يستوعبه برنامج تلفزيوني — الوجه الواقعي لحزب توده وقائمة أعماله.

ركعنا أمام الاخلاقية الجديدة

إن القرار الذي اتخذناه بالاعتراف لم يكن قراراً آتياً ومرتبلاً. لقد اجتزنا بعد الاعتقال مراحل عديدة، وكانت لنا مع المحققين ومسؤولي المعتقل جلسات بحث وحوار طويلة. لقد كان بيننا في أول الأمر من يأبى أن يجيب على أسئلة المحققين، لأنه كان يرى نفسه أمام محقق شاب لا يتجاوز عمره نصف أو ثلث حياته السياسية لكن معاشرتنا لهؤلاء الشباب وحديثنا معهم وما واجهناه من أخلاق ومواقف وإخلاص وشهامة لديهم، غير وجهة نظرنا فيهم ودفعنا لأن نعود الى أنفسنا، ووقر لنا فرصة لمراجعة تاريخنا.

لقد ألفينا أنفسنا خلال مراحل التحقيق أننا أمام أفراد مخلصين كل الاخلاص في أداء واجباتهم، ومهتمين كل الاهتمام في مهمتهم، ويتعاملون معاملة أخوية، وهذه الصفات البادية على هؤلاء الشباب المحققين ومسؤولي المعتقل هي في اعتقادي ناتجة عن إيمان عميق بحقانية النظام وبحقانية الطريق الذي يسلكونه، هذا الايمان نافذ في وجود هؤلاء الشباب.. إنهم شباب عظامٌ حقاً!

يخال الانسان أن هؤلاء الشباب تنقصهم التجربة، لكن التعامل معهم يبين شيئاً آخر.. يبين أنهم خلال ممارستهم لتجربة انتصار الثورة وصيانة

مكتسباتها قد نضجوا أيما نضج، ونجد لذلك نماذج في جبهات القتال وفي كافة الجبهات والخنادق والمراكز الداخلية. نجدها هنا في هذا المعتقل حيث دارت بيننا وبين هؤلاء الشباب مناقشات ودية جادة أدت بنا الى التفكير العميق والمراجعة و من نَمَّ الى الاستسلام أمام الحقائق!!».

هذه الحقيقة التي يذكرها «عموي» تحتاج الى وقوف طويل لايسعه هذا الاستعراض لكننا نستوقف القارئ عند كل جملة من جمل هذا الرجل لانها مهمة.. تبين معجزة من المعجز التي حققها الاسلام في إيران.. وتجسد حقيقة قوله تعالى «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا».

إنه لمذهل حقاً أن يركع ماركسي قضى ستين عاماً في النشاط السياسي المركز أمام شاب عمره عشرون سنة... يركع بقناعة واعجاب وانهار وتراجع نفسي وفكري.. إنها عظمة الاسلام. عظمة هذا الدين الالهي الذي يسمو بفكر الانسان وروحه، ويفجر طاقاته ويكسبه نضجاً وشخصية واتزاناً لايجدها اطلاقاً في المدارس الوضعية.

وثمة مسألة أخرى هي ان هؤلاء القادة الشيوعيين المرتبطين بموسكو يشتركون مع عملاء أميركا والغرب في شيء واحد هو «المصلحية»!! يشتركون في فهم كل شيء على أنه صراع مصلحي وهم حين وجدوا شباباً ذابت مصالحهم في رسالتهم الفكرية.. يضحون من أجلها ويتفانون في سبيلها.. ويخلصون لها كل الاخلاص.. حين عاش هؤلاء الماركسيون زمناً مع هؤلاء الفتية المتقين الذين آمنوا بربهم وزادهم الله هدى.. تراجعوا.. أحسوا بضعفهم.. وبصغرهم، وراحوا يعترفون بكل شيء.. حتى بمالم يطلب منهم في التحقيق.

ضجيج الاعلام المضاد

واصل عموي حديثه، وانتقل الى الضجة الاعلامية التي أثارها الشرق والغرب معاً ضد الجمهورية الاسلامية عقب اعترافات قادة «توده» وقال:

«سمعنا من الإذاعات ومن وسائل الاعلام المعادية للجمهورية الاسلامية أن المقابلات التي جرت مع أعضاء حزب توده، كانت بفعل الضغوط الجسمية والنفسية، وأعلى أثر العقاقير الكيماوية، وبعض أعضاء حزب توده في الخارج أيضا نشروا بيانات بهذا الشأن تحت عنوان.. (أوقفوا محاكم التفتيش)! و (اليمينيون يهجمون على حزب الطبقة العاملة)!! وامثالها.. حتى راحوا يتحدثون أيضا عن تعذيب بعض أعضاء الحزب وإعدام بعضهم وفي جمعنا هذا واحد من الذين اشتركوا في كتابة هذه البيانات الكاذبة. وأترك الحديث له ليوضح لكم بنفسه ذلك».

وهنا تحدث أحد المشاركين وهو «ميزاني» فقال:

«بعد اعتقال الوجبة الاولى من أعضاء حزب توده وجهنا رسالة مفتوحة الى المسؤولين في الجمهورية الاسلامية، ذكرنا فيها: «أن أعضاء حزب توده المعتقلين يعيشون تحت أفسى أنواع التعذيب ونقل بعضهم على أثر ذلك الى المستشفى، كل ذلك من أجل إجبارهم على الخروج على شاشة التلفزيون والإدلاء باعترافات كاذبة». قلنا هذا للمسؤولين ونحن لانعلم مايدور في المعتقل، قلناه حدسا لاننا نعلم بوجود جرائم ارتكبتها الحزب لا يمكن للمعتقلين ان يتصلوا منها، واحتملنا انهم سيظهرون على شاشة التلفزيون، ولذلك حاولنا تدارك الامر قبل وقوعه، والآن أنا أعيش في المعتقل عدة أشهر، ومارأيت في المعتقل من قبل الإدعاء العام والمحققين ينطبق تماما مع الموازين القانونية والأصول الانسانية، وأنا أنفي تماما ما جاء في تلك الرسالة المفتوحة».

ثم اخذ «عموي» بناصية الكلام وقال:

«إذاعة صوت أميركا وإذاعة بي - بي - سي ، وإذاعة اسرائيل أيضا أذاعت بدورها أخباراً عن التعذيب النفسي والجسدي واستخدام الأدوية والحقن الكيماوية ونظائر ذلك في أخذ الاعترافات من أعضاء حزب توده. هذه الإدعاءات طبعاً من السخف والتفاهة بدرجة بحيث لا تحتاج الى رد. فظهور قادة الحزب عدة مرات على شاشة التلفزيون، واعترافهم الصريحة خير دليل على سخف هذه

الادعاءات.

وهنا يُطرحُ السؤال عن سبب وقوف هذه الابواق الدعائية فجأة ومرة واحدة للدفاع عن حزب توده. في الواقع ان الامبريالية تلجأ الى كل وسيلة للظعن على الجمهورية الاسلامية الايرانية.

وكما أشرت من قبل فان المشاركين في هذه المقابلة اشتركوا عن طيب خاطر فيها، و يعتبرون هذا واجبا يفرضه عليهم ضميرهم، وهم واثقون أن دعايات أعداء الثورة ظاهرة الزيف ولا يصدقها أحد».

وبعد أن عرّف المشاركون أنفسهم، واصل عمومي حديثه عن

الضجيج الاعلامي المقتعل وقال:

«في أميركا وأوروبا ضجة إعلامية بشأن اعترافات أعضاء حزب توده واعتقال كوادرهم المتقدمة، تستهدف النيل من الجمهورية الاسلامية.

من الموضوعات التي أثبتت في الصحافة هناك مقتل — آصف رزم ديدة — وهو حاضر كما ترون اليوم بين جمعنا عند هذه الطاولة المستديرة، هذه الصحيفة (ويرفع الصحيفة بيده و يظهرها على شاشة التلفزيون، وهي صحيفة يسارية أوروبية) ادعت ان «آصف رزم ديدة» مات على أثر التعذيب الوحشي.

وفي هذا المجال ايضا كتبوا أن الرفيق أونسيان استشهد تحت التعذيب وها أنتم ترون أونسيان جالسا الى هذه الطاولة المستديرة.

صحيفة الديلي نيوز — نقلنا عن صحيفة إيران نيوز الناطقة بلسان الملكيين الفارين في لندن — ذكرت خبر اعدام كيانوري زعيم الحزب. وهذه الصحيفة صدرت قبل شهرين ونصف الشهر، وها إنكم ترون كيانوري بيننا. نبدأ حديثنا اليوم باستعراض ماضي حزب توده».

نور الدين كيانوري:

«تحية الى الامام الخميني قائد الثورة الكبير ومؤسس الجمهورية الاسلامية، وتحية الى أبناء الشعب الايراني البطل الذي يشمر عن ساعد الجد سواء على جبهات القتال للوقوف بوجه عدوان صدام الصهيوني وحماته، أو على الجبهة الداخلية في حقول البناء ودعم الجبهة لبناء إيران الجديدة. وفق نموذج اسلامي.^{٨٣}

كما تلاحظون، إني حي لم أعدم ، وأنا مشغول الآن في إجراء هذه
المقابلة، وما قيل في الصحف ووسائل الاعلام بشأن استعمال المحاليل الكيماوية
وخبراء وكالات الاستخبارات العالمية كالموساد وسي - آي - أي -
والانتلجنت سرفيس، وغيرها من الخزعبلات قد أجب على ما أريد هنا أن
أضيف شيئاً آخر.

ليست اعترافاتنا نتجة عن ضعف:

قد يخطر في ذهن بعض الشباب العاطفي المتحمس، أننا أجبرنا على أن
نأتي هنا لأن نقرر بأمور تخالف معتقداتنا بعد أن حصل فينا انهيار أمام التهديد
بالموت والتهديد بالاعدام!

أريد أن أقول لهؤلاء الشباب: لا تكونوا بسطاء الى هذه الدرجة، لئن تروا
اليوم زعيم الحزب الذي ناضل أكثر من أربعين عاماً يتحدث إليكم بهذا الشكل
عقب سبعة أشهر من الاعتقال فقط فذلك لا يمكن أن يكون خوفاً من إعدام. إنه
مواجهة الحقائق والمعايير الجديدة التي لم يكن يعرفها قبل الاعتقال.
قيادة الحزب بأجمعها تقريبا بدأت بتقييم جديد للحزب والذات، على
ضوء هذه المعايير الجديدة، ووصلت الى ماوصلت اليه من نتائج تطرح عليكم
اليوم.

بعد هذه المقدمة استعرض تاريخ الحزب ذاكراً الحقائق التي كنا نخفيها
عن الحزبيين وعن الناس.

أسباب سقوط توده

بدأ كيانوري يتحدث عن تاريخ حزب توده واستهل هذا المقطع من
كلامه بذكر اسباب سقوط هذا الحزب وعزى ذلك الى عاملين أساسيين
هما ١ - التبعية ٢ - عدم فهم المجتمع الايراني.

فعن التبعية قال:

«حزب توده في الواقع نشأ عام ١٩٤١ في أحضان الاتحاد السوفيتي،

وهكذا الحزب الشيوعي الإيراني، ومجموعة الثلاثة والخمسين من قبل نشأت في أحضان الكومنترن أي الاتحاد السوفيتي أيضا. منذ تأسيس الحزب كان توده تابعا للاتحاد السوفيتي في معتقداته وسياسته. وكانت هذه التبعية واضحة مألوفة عند أفراد الحزب، واتخذت شكلا طبيعيا لديهم كأن يغادروا مثلاً للاقامة في الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية، أو يتسلموا المعونات الاقتصادية من السوفيت».

ثم ذكر كيانوري نموذجاً من هذه التبعية في قضية إصرار حزب توده على منح امتياز نفط شمال إيران إلى الاتحاد السوفيتي وتحدث عن تشكيل جمهورية آذربايجان الديمقراطية وجمهورية كردستان تحت ظل الحماية السوفيتية، وقال إن الاتحاد السوفيتي عمد الى هذا العمل الانفصالي للضغط على الحكومة الإيرانية والحصول على امتياز نفط الشمال، وحين حصل السوفيت على وعود من حكومة قوام السلطنة بشأن منحهم امتياز النفط سحبوا تأييدهم لفرقة الديمقراطيين الآذربايجانيين والانفصاليين الاكراد، وعرضوا أبناء المنطقين لمجازر دموية ذهب ضحيتها الآلاف. وحزب توده — بسبب تبعيته العمياء للاتحاد السوفيتي — أيد مسألة منح امتياز نفط الشمال للسوفيت، كما أيد الاعمال الانفصالية في آذربايجان وكردستان.

ثم تحدث كيانوري عن العامل الثاني.. عامل عدم فهم طبيعة المجتمع الإيراني، وقال:

«السبب الثاني هو عدم فهمنا المجتمع الإيراني، كنا لانفهم المجتمع الإيراني أبداً، كانت دراستنا تشمل غالباً المجتمعات الأوروبية، وتاريخ حركات الدول الأوروبية، كانت هذه تربية الجيل الاول من الشيوعيين ونحن تربينا على يد أولئك وهذا الجيل الجديد تربى على أيدينا بهذا الشكل، معلوماتنا عن المجتمع الإيراني لا تكاد تذكر، وهنا أذكر فقرة رائعة من كتاب الشهيد مرتضى مطهري عن مقدمة كتاب: (علل الاتجاه نحوالمادية) ص ٣٢ قال:

(المادية الجديدة التي وجدت لها موضع قدم في إيران منذ أقل من نصف

قرن، لم تكن تتوقع أن تواجه منطق الآلهيين بالشكل الذي واجهته فيما بعد، ولم تكن تدري عمق نفوذ الدين بين عامة الشعب وخاصة بين الجماهير، كانت تظن أنها قادرة على دحر المنافس على صعيد المنطق والاستدلال وعلى الصعيد الاجتماعي).

إنها حقيقة واقعة، نحن لم نكن نفهم إطلاقاً تاريخ إيران ولا مجتمع إيران ولا شعب إيران.

نحن بتفضيلنا أيديولوجية غربية على الطبيعة الإسلامية للمجتمع الإيراني وقعنا في ما وقعنا فيه من تبعية وجهل بالمجتمع الإيراني».

السبب الثاني الذي يذكره «كيانوري» لسقوط توده في إيران يستحق الوقوف عنده طويلاً وما يسعنا أن نقوله في هذا العرض العاجل هو أن أقوال «كيانوري» تعبر عن تجربة واقعية عملية استمرت أكثر من أربعين عاماً وأسفرت عن خيبة وانحراف وسقوط في أحضان التبعية والخيانة. أقوال كيانوري هذه تستطيع أن تكون خير عبرة لكل الموتورين من أتباع المدارس الوضعية الكافرة.

إنها دروس عملية حية لأولئك الذائبين في المدارس الفكرية المستوردة والهائمين مع تيارات الغزو الفكري.. دروس توضح لكل أولئك حقيقة مهمة هي أن المجتمعات المسلمة لا يمكن فهمها من خلال الأطر الفكرية الغربية.. المجتمعات الإسلامية — مع كل مافيها من انحرافات عن المدرسة الإسلامية — لها ثقافتها الخاصة وتطلعاتها الخاصة ونفسيتها الخاصة، لا يمكن تحريك هذه المجتمعات وتفجير طاقاتها إلا بالاسلام. وهذا ما أكده حتى المستشرقون أمثال العالم الفرنسي (جاك أوستروي) الذي ذهب الى أن التنمية الاقتصادية في العالم الاسلامي لا يمكن أن تحقق تطوراً ملحوظاً ولا يمكن أن تعبى طاقات المسلمين إلا ضمن إطار الاقتصاد الاسلامي.^{٨٤}

هذا على الصعيد الاقتصادي.. وعلى الصعيد السياسي والنضالي أثبتت تجربة الثورة الإسلامية في إيران قدرة الاسلام الخارقة على تحقيق المعجزة في هذا الحقل، وإن كانت هناك في التاريخ القديم والمعاصر تجارب

اسلامية كثيرة أخرى في مجال تعبئة الطاقات من أجل معركة الهدم والبناء. وكما إن «تحريك» الامة لا يكون إلا بالاسلام كذلك «فهم» الامة الإسلامية غير مقدور إلا من خلال الاسلام أيضا. إنعزال الفئة (المثقفة) المتميعة بحضارة المستعمرين عن الامة الإسلامية يعود بالدرجة الاولى الى عدم قدرة هؤلاء على فهم أمتهم. مأساة المنتمين الى الأحزاب الكافرة في العالم الاسلامي لها نفس الجذور. هؤلاء يحاولون أن يفهموا تاريخ أمتهم من خلال تاريخ أوروبا و يفهموا الصراع الفكري في مجتمعهم من خلال دراسة هذا الصراع في أوروبا ليخرجوا من كل ذلك بنتائج مسمومة مقلوبة هزيلة طالما تبعت على الضحك.

وهناك ظاهرة ينبغي التاكيد عليها وهي أن الصحوة الاسلامية الاخيرة أثرت على كثير من المنتمين الى الاحزاب الكافرة فبدأوا يراجعون أفكارهم وتاريخهم وممارساتهم ومواقفهم. ومن هنا نشطت الدوائر الاستعمارية الصهيونية لتسخ حقيقة سبب تخلف الاحزاب الكافرة عن مجتمعاتها في العالم الاسلامي ولتقول هؤلاء «المراجعين» مثلاً: إن سبب هذا التخلف والانفصال يعود الى «عدم وجود اتصال مرغوب بين العقل العربي والعقل الغربي». وأن مشكلة الاحزاب العربية هي خلوها من الفلاسفة المتحررين من سيطرة الدين والمؤمنين بقيم الحضارة الغربية.^{٨٥} على أي حال ستبقى تجربة حزب توده— على الرغم من كل محاولات المسخ والتشويه— درساً لكل من ألقى السمع وهو بصير.

نموذجان لسوء الفهم

أورد «كيانوري» مثالين يفصحان عن سوء تقييم حزب توده لما كان يجري في ايران بسبب تبعيته ومنطلقاته الفكرية الاجنبية، فقال: «في فترة وجود الحزب خارج ايران شهد المجتمع الايراني حادثتين كبيرتين، الاولى سلبية والثانية ايجابية ولكننا مع الاسف، بسبب خصائصنا، لم نستطع أن نفهم هاتين الحادثتين.

الحادثة السلبية الكبرى كانت عبارة عن إصلاحات الشاه التي كانت تطبق في إيران بأمر الامبريالية الاميركية.. لقد كانت سياسة إستعمارية جديدة تستهدف مسح كل الخصائص الوطنية للمجتمع الايراني، ورأينا عواقب هذه السياسة خاصة خلال العقد الأخير من حياة الشاه، وشاهدنا مدى عمق الفساد الذي نجّر اليه المجتمع.

نحن لم نفهم هذه الحادثة، واعتبرناها إجراءات تقدمية، وأعلنا تأييدنا لها. وثمة حادثة أخرى شهدها المجتمع الايراني هي انتفاضة ١٥ خرداد ١٣٤٢ (٥ حزيران ١٩٦٣) لقد اتخذ حزبنا من هذه الحادثة موقفاً إيجابياً على الرغم من موقف الاعلام السوفيتي آنذاك^{٨٦} لكنه لم يفهم إطلاقاً أن هذه الانتفاضة شرارة سيعقبها بركان يقتلع جذور كل مآسي المجتمع الايراني.

في أوائل سنة ١٩٧٨م وبعد حادثة الجمعة السوداء، كان السكرتير الاول للحزب يتحدث عن حسنات النظام الملكي الدستوري وعن الحريات التي يحصل عليها المواطنون في ظل هذا النظام واقتنع حزبنا ببقاء الحكم الملكي. وبقى البحث دائراً داخل الحزب حول هذه المسألة حوالي سنة واحدة حتى حصلت القناعة لدى المسؤولين السوفيت أن تياراً واحداً هو المنتصر في إيران وهو التيار الذي يقوده الامام الخميني ونتج عن ذلك أن تغيرت قيادة حزبنا وقبلنا نحن أيضاً تبعاً لقناعة السوفيت أن تيار الامام الخميني هو التيار المنتصر الوحيد، وبقية التيارات تابعة وذيلية ومعيقة لحركة الثورة.

وبعد مجيئنا الى إيران، لم نستطع مع الاسف — بسبب نفس الامراض المذكورة — أن نبقى أوفياء للحقيقة التي اثبتت في أذهان بعضنا قبل انتصار الثورة.

فضائح حزب توده

لم يكن لحزب توده خارج البلاد شغل سوى التناحير بين أعضائه، بقينا عامين في الاتحاد السوفيتي، ثم انتقلنا الى جمهورية ألمانيا الديمقراطية ليتيسر لنا الاتصال بايران، ولنحاول لمّ شتات الحزب. والواقع أننا خلال (١٥) عاماً، أي حتى عام ١٩٧٤ لم يكن لدينا أي نشاط في إيران. نعم ظهرت نشاطات لحزب توده خلال الاعوام المذكورة، ولكن كانت

تلك النشاطات من قبل جهاز أمن الشاه - الساواكسوالساواك استطاع أن ينفذ الى قيادة الحزب ويوجه نشاطاته ويكتشف أعضاءه، وهذا الشكل انهار حزب توده تماما في إيران.

ذات مرة شكل الساواك نفسه مجموعة من حزب توده بقيادة عباس شهرياري، وكان الهدف أن تتصل هذه المجموعة بأفراد الحزب في الخارج، وتجذبهم الى الداخل كي يقفوا فريسة بيد الساواك.

ثمة مسألة أخرى وهي أننا كنا خلال هذه الفترة نغطي على نقاط ضعفنا بإعلام كاذب. فحاولنا مثلاً أن نصوّر من (روزبه) بطلاً مدافعاً عن حزب توده حتى النفس الاخير بينما أدلى (روزبه) بتصريحات أدان فيها حزب توده واعترف فيها بأنواع الاغتيالات التي قام بها الحزب عن طريق فرقة الاغتيالات الحزبية مثل اغتيال «محمد مسعود» ولكننا حذفنا هذه الفقرة من اعترافاته عندما نشرنا محاكمات خسرو روزبه، في الحقيقة نحن حذفنا ثلاثة مواضع من محاكمة روزبه، مع أنها كانت حقائق أدلى بها بدون تخويف أو ضغطو».

ثم أشار «كيانوري» الى اغتيال حسام لنكراني، وهو مثل محمد مسعود، من اعضاء حزب توده لكن الحزب قرر - لاسباب داخلية - اغتياله، واغتاله فعلا عن طريق فرقة الاغتيالات بقيادة «روزبه».

ثم تحدث «حسين جودت» عن طريقة قتل حسام لنكراني وكيف أن فرقة الاغتيالات دعته الى بيت وذبحته ودفنته في ساحة ذلك البيت.

جدير بالذكر أن اغتيال هذين الشخصين لم يكن معروفاً من قبل بأنه تمّ على يد حزب توده نفسه.

انوشيروان ابراهيمي

«الموضوع الذي سأشرحه باختصار في هذه المقابلة هو المصير المؤلم لفرقة الديمقراطيين الأذربايجانيين وماشهدته بأمر عيني بشأن هذه الفرقة.

جمهورية آذربايجان الديمقراطية!

«سيد جعفر بيشه وري» كان من المقرر ان يكون ممثل مدينة «سلماس» في المؤتمر الاول لحزب توده، لكنه لم يدع الى حضور المؤتمر بسبب الخلافات الداخلية في الحزب^{٨٧}.

كان «بيشه وري» يصدر صحيفة باسم (آجير) في طهران، ذهب الرجل الى تبريز وفي عام ١٩٤٥ أصدر بيانا أعلن فيه تشكيل فرقة الديمقراطيين الآذربايجانيين، وبعد أن اطلعت على أهداف الفرقة انتميت اليها عام ١٩٤٦ مندفعاً بعواطف الشباب، غير عالم أن كلمات: الحرية، والاستقلال، وحق الحكم الذاتي، والسيادة الوطنية، لها معنى آخر في قاموس مؤسسي الفرقة. خلف الستار كانت تدور مسائل لا يطلع عليها سوى قادة الفرقة، ومما لاشك فيه أن تشكيل هذه الفرقة وإعلان الحكم الذاتي في آذربايجان كان في ظل قدرة الجيش الاحمر السوفيتي وبمساندة ستالين والسكرتير الاول للحزب الشيوعي لجمهورية آذربايجان السوفيتية.

قيادة الفرقة كانت تتشكل من أعضاء حزب توده سوى ثلاثة أو أربعة أعضاء، ثم التحق فرع الحزب في آذربايجان بالفرقة. أرسلت اللجنة المركزية للحزب عدداً من أعضاء التنظيم العسكري للحزب الى آذربايجان إعراباً عن دعمها واسنادها. في أواخر عام ١٩٤٥ أعلنت الفرقة الحكم الذاتي في آذربايجان بدعم من الجيش الاحمر.

إتضح فيما بعد أن هذه الفرقة، مثل حزب توده، آلة بيد ستالين»..

ثم واصل ابراهيمي حديثه عن المساومة التي حدثت بين قوام السلطنة رئيس وزراء الشاه والمسؤولين السوفيت بشأن منح السوفيت امتياز نفط شمال إيران، وتحدث عن المجزرة الدموية التي تعرضت لها آذربايجان وكردستان على يد الشاه، بعد هذه الصفقة وقال:

«بعد سقوط جمهورية آذربايجان، هربت قيادة الفرقة دون علم الاعضاء

والناس الى الاتحاد السوفيتي، وبعد القيادة فرّما يقارب الخمسة آلاف الى ستة آلاف شخص الى آذربايجان السوفيتية وكنت فيمن فرّ آنذاك .
وفي الاتحاد السوفيتي نسيت الفرقة كل التزاماتها النضالية وانحصرت اهتماماتها في الامور المعيشية.

وبعد ثلاثة عشر عاما من تشكيل الفرقة انعقد مؤتمر وحدة حزب توده وفرقة الديمقراطيين الآذربايجانيين في المهجر تحت اشراف الاتحاد السوفيتي، ومنذ ذلك الوقت أصبحت عضواً في حزب توده».

ثم تحدث إبراهيمي عن عودته بعد انتصار الثورة الاسلامية الى أرض الوطن، وعن «عودة حليلة الى عاداتها القديمة» وانحى باللائمة على تبعية توده والديمقراطيين للاتحاد السوفيتي، والخيانات التي ارتكبتها المجموعتان جرّاء هذه التبعية. وأدان مواقف توده العدائية المناقفة من الجمهورية الاسلامية، وقال:

«إنها على الاقل نكران لجميل الشعب الايراني الذي قدم دمه ليمهد الطريق أمام عودتنا الى أرض الوطن».

رضا شلتوكي :

«قبل كل شيء «لابد من كلمة أوجهها الى الشباب خاصة ليزيجوا عن أذهانهم كل الحجب التي تبعدهم عن الحقيقة، ولكي أفتح منافذ قلوبهم على مايقال في هذه الاعترافات.

أيها الاصدقاء الأعزاء.. إن الألم عميق، وإن المساة فظيعة لا يمكن تغطيتها بإثارة إشاعات مثل زرق المعترفين بمحنات طيبة وتجريعهم عقاقير كيميائية! ومثل اتهام المحققين معنا بأنهم أعضاء في وكالات الاستخبارات الاميركية والبريطانية والاسرائيلية!

تعالوا هنا وانظروا الى هؤلاء المحققين، إنهم مجموعة من أظھر وأنقى وأفقر أبناء المجتمع... مجموعة مخلصه، مضحية، متفانية، رسالية، مغرمة بخطها وبإمامها

وبثورتها... مجموعة لايسمح سن أيّ من أعضائها أن يكون قد اجتاز أية دورة...
مجموعة ليس لنشاطاتها حدود ولا في أسبوعها عطلة!!

بقدر ما يتعلق الأمر بنا سوف لانسمح لأحد أن يستغل أسماءنا للطعن على
الجمهورية الاسلامية الايرانية.

أيها الاصدقاء الاعزاء! أيها الاصدقاء الشباب. نحن كنا على المستوى
النظري متلهفين لثورة الكادحين، وسعينا الى تحقيق هذه الثورة في زمن الطاغوت
قدر وسعنا واليوم فان هذه الثورة نصب أعيننا تنهض بأعبائها الجماهير المحرومة،
ويقودها إمام الامة، وقد غفلنا نحن عن هذه الحقيقة العينية الملموسة، وجرينا
وراء السراب.

دافعنا — في هذه الاعترافات وبيان الحقائق — الشعور بالمسؤولية أمام
هذه الثورة ومصيرها».

الشيوعية و ايران

ثم تحدث شلتوكي بعد هذه المقدمة عن (الازدواجية) والنفاق في
مواقف حزب توده مستعرضا هذه الازدواجية من خلال إلقاء الضوء على
تبعية الحزب للاتحاد السوفيتي، وموقفه الخياني من حركة تأميم النفط ومن
الانقلاب الاميركي الذي أطاح بحكومة الدكتور مصدق، وتحدث عن
موقف توده الخياني المناق من الحرب المفروضة على الجمهورية الاسلامية،
ومن قوانين الجمهورية الاسلامية، ثم قال:

«كما أشرت في بداية بحثي، العامل في كل هذه المواقف المناققة الى
شيئين: الاول التبعية، والثاني: الايديولوجية.

الماركسية والمجتمع الايراني^{٨٨} قطبان متضادان في الايديولوجية، والاصول
والاخلاق والتحليل النفسي، والتحليل الاجتماعي، وطريقة الحياة والمعايير،
والقيم.

منذ ستين عاما، (أي منذ ثورة أكتوبر) تعرف أبناء شعبنا على
الماركسية، وكلما ازداد تعرفهم عليها زاد بعدهم عنها.

الماركسيون في المجتمع الايراني يشكلون اقلية تافهة من (المثقفين) وهم يشكلون قطبا متناقضا مع الجماهير المليونية للشعب الايراني، وهذا التناقض هو الذي جرّ ماجراً على حزب توده ودفعه الى طريق مسدود».

علي گل آويز

ثم تحدث علي كلاويز عن مواقف حزب توده والاتحاد السوفيتي تجاه «كردستان» وأكد أن تاريخ كردستان ومصيرها اقترن بتاريخ آذربايجان، ومنطقة كردستان لاقت نفس المآسي التي لاقتها آذربايجان - كما ذكر ذلك ابراهيمي -.

وأكد أن سياسة الاتحاد السوفيتي في كردستان هي اتخاذ هذه المنطقة وسيلة للضغط على دول المنطقة وقال:

«كلما رأى السوفيت شرارة في كردستان يستطيع أن يستثمرها لصالحه، صب عليها الزيت، كي تلتهب ووجَّهها نحو تحقيق مآربه. واذا لم يجد فيها ما يحقن مصالحه تركها ولفظها لفظ النواة».

وحزب توده في كردستان كان يدين الفئات الكردية الموالية للغرب مثل جماعة قاسملو، ومجموعة كوموله، ولكنه كان يفعل ذلك من أجل أن تكون له الكلمة العليا في كردستان ويكون سيد الموقف في المنطقة».

ثم اختتم كلاويز حديثه بتوجيه كلمة الى أهالي كردستان مؤكداً فيها أن عزة الاكراد وكرامتهم واستقلالهم الواقعي لا يتحقق إلا في ظل الجمهورية الاسلامية المعادية لكل تبعية شرقية وغربية، ونصح المغرَّرين من الاكراد أن يعودوا الى أحضان الثورة الاسلامية المعادية لكل عنصرية وشوفينية.

اعترافات الطاولة المستديرة

الحلقة الثانية - التجسس ٨٩

الاعترافات التي يدي بها الشيوعيون بعد انهيارهم في مراحل التحقيق لا تتضمن إشارة الى مسألة التجسس، لان الاعتراف بالتجسس يحمّل صاحبه جريمة الخيانة الكبرى التي يستحق مرتكبها، في كل قوانين العالم اقسى العقوبات.

وان كان ثمة اعترافات منهم في هذا المجال فهو لا يتعدى الاعترافات بارتباطهم بالاحزاب الشيوعية العالمية، وتبادل المعلومات معها، وخاصة الحزب الشيوعي السوفيتي، باعتبار أن ذلك واجب أممي.

أما اعترافات أعضاء توده أمام القضاء الاسلامي فنجد فيها :

(١) - إقراراً بأن حزب توده مسخر من قبل الاتحاد السوفيتي والعبوة بيد السياسة السوفيتية.

(٢) - مطالبة السوفيت لحزب توده بجمع معلومات معينة وخاصة المسائل العسكرية للدولة الاسلامية.

(٣) - ارتباط بعض الاعضاء مباشرة بوكالة الاستخبارات السوفيتية - كي - جي - بي، دون أن يكون هذا الارتباط عن طريق الحزب.

وهذه الاعترافات تعني أن حزب توده مارس التجسس حقيقة، حتى وفق معايير الشيوعيين أنفسهم. كما تعني أنّ المعترفين قطعوا عليهم كل سبيل للتبرير. وهذا اللون من الاعترافات له دلالاته التي لا تخفى على القارئ.

غلام حسن قائم پناه:

«مؤسسو حزب توده وزعماء الحزب الاوائل كانوا بأجمعهم مرتبطين بالاتحاد السوفيتي وكان بعضهم قد تلقى دراسته هناك وبعضهم كان جاسوساً للسوفيت.

عمالة حزب توده للاتحاد السوفيتي كانت موجودة منذ البداية، لكني أركز في حديثي هذا على عمالة هذا الحزب خلال إقامة أعضائه في الاتحاد السوفيتي عقب الانقلاب الاميركي الذي أعاد الشاه الى الحكم وعقب اندحار حركة الديمقراطيين الآذربايجانيين.

المشاركون في هذه المقابلة معظمهم من أولئك الذين هاجروا الى الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية ومارسوا عملية التجسس لو كالة الاستخبارات السوفيتية - كي - جي - بي - خلال مدة تقرب من ثلاثين عاماً.

الحزب ألعوبة بيد السوفيت

الزعماء السوفيت والحزب الشيوعي السوفيتي كانوا مسيطرين على كل حركات الحزب وسكنتاته وكانوا أيضا يشاركون في جميع الاجتماعات والمؤتمرات الحزبية، وكل التغييرات في مواقف الحزب، وهكذا جميع قراراته المرتبطة بالتنظيم الداخلي وبمسائل إيران إنما تُتخذ بناءً على أوامر وتوصيات الزعماء السوفيت وخاصة مسؤولي الأمن منهم.

عند بروز اختلاف في وجهات النظر داخل الحزب، كان المسؤولون السوفيت يسارعون لتقصي جوانب هذا الاختلاف، تحسبا لوجود خط مخالف للسوفيت داخل الحزب. وهذه الحساسية ازدادت عند بروز الاختلاف في الحركة الشيوعية بين بكين وموسكو. وفي إحدى المرات صدرت أوامر من الحزب الشيوعي السوفيتي لفصل مجموعة من قياديي حزب توده بسبب ميولهم الماوية الصينية.

كانت هناك مجموعة داخل الحزب ترفع تقارير الى المسؤولين السوفيت عن كل ما يجري في الحزب، وكانت هذه المجموعة تتصل بمسؤولي الامن السوفيت مباشرة دون أن يطلع الحزب عليها.

وبشأن النشاطات التجسسية للحزب بعد انتصار الثورة الاسلامية، لابد أن أشير الى شركة تجارية كان يعمل فيها اثنان من قادة الحزب، وكانت وكراً تجسسياً لنقل الاخبار والمعلومات الى الاتحاد السوفيتي، ولتسلّم الأوامر والمساعدات المادية والمعنوية من السوفيت.

وثمة تنظيم سري داخل الحزب، سيتحدث عنه مسؤولوه بالتفصيل، هدفه جمع المعلومات من الافراد المتغلغلين داخل المؤسسات والدوائر من أجل إيصالها الى الاتحاد السوفيتي، اضافة الى هدفه الاهم، وهو تهيئة الظروف اللازمة للاطاحة بنظام الجمهورية الاسلامية.

هدف التجسس

الهدف من التجسس وجمع المعلومات هو:
أولاً: الاطلاع على نقاط الضعف في المؤسسات الثورية، وتضخيمها أمام الجماهير وبالتالي إيجاد الفرقة في صفوف العاملين واضعاف معنوياتهم، ثم توفير الفرصة اللازمة للاطاحة بالنظام القائم باعتبار أن القضاء على النظام هدف استراتيجي للحزب.
ثانياً: جمع الاخبار والمعلومات وتسليمها الى الاتحاد السوفيتي لكسب ثقته أكثر بالحزب وبقدرة الحزب، ولكي تكون مساعداته مقتصرة على حزب توده، ولكي يستجيب للحزب إذا طلب منه ان يتدخل عسكريا ليساعده في الاستيلاء على السلطة.

مهدي برتوي

برتوي هوالمسؤول عن التنظيم السري داخل حزب توده وهو أكثر قياديين الحزب تحمساً في بيان كل دقائق العمليات التجسسية التي قام بها التنظيم. بدأ حديثه بمقدمة عن الاعلام العالمي المضلل بشأن التحقيق مع أعضاء حزب توده فقال:

في السجن واجهنا الحقيقة

«لابد أن أشير في بداية حديثي الى ما نشرته الابواق الدعائية اللئيمة المنطلقة من الشرق والغرب بعد اعتقال قيادة حزب توده وبعد الوجبة الاولى من المقابلات التي جرت مع بعض أعضاء القيادة، لقد أشاعت هذه الابواق أقاويل بشأن التعذيب الوحشي! والحق بالعقاير الكيماوية! وغيرها من الاشاعات كي يخفوا وراء هذه الاجواء المقتعلة وجوههم الكالحة.
لقد أثبت التاريخ النضالي للشعوب أن أي لون من ألوان التعذيب

والتلقين لا يستطيع أن يجبر الناس الشرفاء الى الذل والضعف، والى نكران معتقداتهم ومقدساتهم إن كانت تلك المعتقدات واقعية إنسانية خالصة. ولأدلة على ذلك من صمود أكثر المناضلين أمام التعذيب الوحشي الحيواني الذي كان يمارسه ضدهم نظام الشاه، ومن المقاومة البطولية التي سجلها المكافحون في زنانات الانظمة الفاشية الرجعية في جميع أنحاء العالم. الوضع في سجون الجمهورية الاسلامية يختلف كل الاختلاف. حين يرى الانسان نفسه في سجن الشعب والثورة، وبعيداً عن الجدران الحزبية والتنظيمية، ويبقى وحده يفكر تفكيراً مستقلاً في قائمة أعماله وأعمال رفاقه.. حين تتاح للفرد مثل هذه الفرصة، كيف يستطيع أن يصد نفسه عن الاعتراف بالحقيقة وبحقانية الشعب والثورة، إذا كانت في نفسه ذرة من الاخلاص والشرف الانساني؟! نحن لم نكن مخلصين في نظرياتنا ولا في أعمالنا، ومن هنا اندفعنا للخضوع والاستسلام أمام إخلاص الثورة والشعب. لا بد أن أعلن هنا بصراحة أن معاملة الاخوة مسؤولي السجن لنا كانت بعيدة عن كل ضغوط وانتقام، بل وأكثر من هذا كانت معاملة بناءة وانسانية بشكل غير متوقع».

السوفيت يطلبون معلومات عسكرية خاصة

تحدث برتوي بالتفصيل عن تاريخ خيانات حزب توده، هذه الخيانات التي تنطلق بأجمعها من تبعيته للاتحاد السوفيتي، وعدد تلك الخيانات في خمس عشرة نقطة، وفي هذه النقاط لخص - في الحقيقة - مقاله الذين سبقوه من المعترفين، ثم قال:

«نشط حزب توده بعد الثورة الاسلامية في تزويد الاتحاد السوفيتي بالمعلومات العسكرية؛ والسرية فعلى سبيل المثال: في أوائل سنة ١٩٨٠ أقت - بأمر الحزب - ارتباطاً لمدة اربعة اشهر باحد الدبلوماسيين السوفيت. وكنت ألتقي به في الشارع، وأسلمه - بأمر الحزب - المعلومات والوثائق العسكرية التي كان السوفيت يطلبونها.

وفي إحدى اللقاءات زودني هذا المسؤول السوفيتي بآلة تصوير تشاهدونها هنا - وعرضت الآلة على الشاشة - لتصوير الوثائق. الشريط الواحد فيها يسع لالتقاط ألف صورة في آن واحد وبسرعة. كما زودني بمذباغ يدو على الظاهر عادية لكنه كان يلتقط توجيهات رمزية بطريقة مورس من مرسلة في السفارة السوفيتية. وتفاصيل ذلك موجودة في إضارة التحقيق.

وثمة مثال آخر أستطيع أن أذكره في هذا المجال، يبين أهداف السوفيت المشؤومة هو أن المعلومات والوثائق تأخرت - مرة - في وصولها الى المسؤول السوفيتي. فاقترح هذا المسؤول أن يعطينا مبلغا من المال لتوزيعه على الذين يوفرون لنا هذه الوثائق والمعلومات، وأتارفضت ذلك وقلت له: إن هؤلاء يؤدون واجبا حزبيا، ولا حاجة للمال، وأبلغت الحزب آنذاك بما جرى. على كل حال تزويد الافراد بالمال من أجل التجسس أمر عادي بالنسبة للمسؤولين السوفيت. تزويد السوفيت بالمعلومات لم يقتصر طبعاً على فترة ارتباطي بهذا المسؤول بل كانت هذه العملية موجودة قبل تلك المدة وبعدها. وسيوضح المشاركون في هذه المقابلة ذلك.»

ثم تحدث برتوي عن محاولات حزب توده في تضليل أعضائه بشأن إبعاد تهمة الارتباط بالاتحاد السوفيتي عنه. وأوضح حرص الحزب على إخفاء اتصاله بالمسؤولين السوفيت عن بقية الاعضاء.

ثم استعرض هذا القيادي الشيوعي بالتفصيل تاريخ الحركة الشيوعية العالمية، وخدمة هذه الحركة للدولة الشيوعية الام، وأكد ان الماركسية تحمل بذاتها طابع التبعية الفكرية والسياسية والعاطفية، كما أن الارتباط التنظيمي للأحزاب الشيوعية العالمية يجعل هذه الاحزاب تحت سيطرة الحزب الشيوعي السوفيتي وبالتالي تحت سيطرة الحكومة والاستخبارات السوفيتية.

فرج الله ميزاني

«بعد قيام الجمهورية الاسلامية، وبدء النشاطات العلنية للحزب،

كانت لي معهم عدة اتصالات، ولكن، وكما قال المتحدثون قبلي، كان المسؤولون السوفيت لا يرضون الاكتفاء بالاطار المذكور بل كانوا يتجاوزونه دائماً للحصول على معلومات تجسسية. وكانوا يطلبون معلومات معينة خلال رسائل كنت أوصولها الى كيانوري. في إحدى المرات أعطاني كيانوري رزمة أوصلتها لهم».

أحمد علي رسدي

مرت اعترافاته بشأن ارتباطاته بالاستخبارات السوفيتية قبل الثورة وبعدها وفي هذه المقابلة أعاد تلك الاعترافات ثم قال:

«في اتصالاتي بالمسؤولين السوفيت بعد انتصار الثورة الاسلامية الايرانية كان المسؤولون يطلبون مني معلومات عن التيارات المختلفة العاملة في الساحة الايرانية وخاصة المعارضة كما كانوا يطلبون مني معلومات عن مواقف بني صدر وخطاباته وعن سائر الشؤون الايرانية. كما قلت سابقاً تكن قيادة الحزب على علم بهذه الاتصالات بل كنت أتبرع باعطاء هذه المعلومات شخصياً باعتبارها خدمة أومية.

هذه الاتصالات نموذج للتدخل السوفيتي المباشر في شؤون الاحزاب الشيوعية الصغيرة كما انها تشكل نقضاً صريحاً لمبادئ وقرارات الاحزاب الشيوعية نفسها. كما انها تتناقض ومبادئ المؤتمر العالمي للاحزاب الشيوعية والعمالية القاضية بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للاحزاب الاخرى».

الشيوعية ترفض القيم

وهنا علق «عموئي» على اعترافات «رسدي» وقال:

«إن التناقض بين القول والعمل في الحزب الشيوعي السوفيتي يدل أولاً: على السياسة التوسعية للسوفيت، ويدل ثانياً: على عدم وجود قيم ثابتة محترمة في المدرسة الشيوعية بحيث يستطيع الشيوعي أن يرتكب كل إثم وجريمة عن طيب

خاطر بما في ذلك التجسس».

ثم واصل «رصدي» حديثه، فاكد انعزال حزب توده عن جماهير الشعب بسبب تبعيته وعمالته، كما أكد على أنه مذنب وشريك في كل الجرائم التي ارتكبتها الحزب.

كا كيك أو انسيان

«ما استطيع أن أذكره هنا هو أنني اتصلت عام ١٩٨٠ بأحد مسؤولي منظمة كي - جي - بي، وفي مرة أو مرتين سلمني رزمة أوصلتها الى كيانوري، كما أوصلت رزمة صغيرة من كيانوري إليه.

ولتسهيل الاتصالات بعد ذلك ، اتفقنا على أن لا يكون اللقاء بيننا مباشراً، بل إني أضع ما أريد إيصاله إلى مسؤول الاستخبارات السوفيتية في مكان معين من الشارع، وهو يضع أيضا ما يريد إيصاله إليّ في مكان متفق عليه».

ثم ردّ أو انسيان على الدعايات التي تثيرها الابواق الاستعمارية بشأن تعذيب قيادة حزب توده، وبشأن مقتله تحت التعذيب..

فريدون قم تفرشي

«ما يرتبط بي شخصيا من عمل تجسسي مباشر يتلخص في اتصالي قبل شهرين بمسؤول الدائرة التجارية السوفيتية في طهران، باعتباري ممثلا عن مؤسسة تجارية كانت تمارس أعمال التجسس وفي هذا الاتصال كنت عضواً رتباط بين الحزب وبين المسؤولين السوفيت، كنت أقوم بعملية تبادل الرسائل بين الجانبين».

التنظيم السري

ثم استأذن «مهدي برتوي» أن يتحدث أكثر عن التنظيم السري الذي كان يتزعمه في حزب توده، فقال:

أنيطت بي مهمة الاتصال بالمسؤولين السوفيت في إطار علاقات الحزبين..
«في سنة ١٩٧٣ اجتمعت بعدد من اليساريين وفكرنا في أمر التحرك السياسي على الساحة الايرانية، وبعد بحث طويل استقررنا على انتهاج طريق النضال الذي كان يعلنه حزب توده آنذاك من اذاعة «بيك ايران» ثم بدأنا بالدعوة لصالح حزب توده الى جانب سعينا للاتصال بالقيادة في الخارج. وهذا التنظيم عرف فيما بعد باسم منظمة «نويد».
كان هذا التنظيم قبل انتصار الثورة الاسلامية يصدر صحيفة «نويد» وكان له اتصال قليل بقيادة حزب توده.

بعد انتصار الثورة الاسلامية قررت قيادة حزب توده — بأمر من الاتحاد السوفيتي — أن يبقى هذا التنظيم سرىا على الرغم من علنية الحزب، وقال القياديون لنا كذبا إن هذا القرار اتخذ في المؤتمر السادس عشر للجنة المركزية وبرروا قرارهم بأن مستقبل الثورة مجهول، ولا بد من وجود قوة سرية تواصل النضال إذا سقطت الثورة!!

نهض التنظيم السري بعد انتصار الثورة بكل الاعمال غير القانونية التي كلفه بها الحزب وهي:

- (١) - صيانة الارتباطات السرية، والاحتفاظ بمطبعة سرية، تستطيع مواصلة نشاطات الحزب السرية.
- (٢) - كسب المعلومات والحصول على الوثائق السرية التي يحتاجها الحزب وأسياده السوفيت.
- (٣) - التغلغل في المؤسسات الرسمية والثورية والمجموعات السياسية لكسب الاخبار وتنفيذ خط الحزب فيها.
- (٤) - إخفاء الاسلحة وخزنها.
- (٥) - توفير الامكانات لتهريب الافراد من ايران وخاصة للقياديين عند احتدام الخطر.
- (٦) - حفظ الوثائق الحزبية، ووسائل تزوير الوثائق الرسمية.
- (٧) - توفير بيوت لاختفاء أعضاء القيادة في الظروف الاضطرارية».

مهدي كيهان

تحدث مهدي كيهان عن تاريخ خيانات الحزب وعن أعماله التجسسية الناتجة عن طبيعة ارتباطه بالاجنبي ثم أشار الى التنظيم السري لحزب توده وقال:

«الهدف النهائي لحزب توده هو نفس هدف الاحزاب الشيوعية في العالم، ويتلخص في تسلّم السلطة، وإقامة المجتمع الاشتراكي وفق نموذج الاتحاد السوفيتي وفي ظل قيادة الاتحاد السوفيتي وبالتالي تبديل إيران الى أحد الاقار السوفيتية».

يتضح من قرارات المؤتمر السادس عشر لحزب توده الذي عقد في الخارج بعيد انتصار الثورة الاسلامية، أن الحزب اتخذ من الدفاع عن خط الامام والجمهورية الاسلامية تكتيكا للتقرب من عملية تسلّم السلطة.

قيادة الحزب كانت تشيع منذ البداية أن الثورة أمامها طريقان لا ثالث لهما .

الطريق الاول: هو التقرب من دول المعسكر الاشتراكي وخاصة الاتحاد السوفيتي والارتباط به عالميا والاتحاد مع حزب توده داخليا.

والطريق الثاني: هو الاتجاه نحو الرأسمالية وبالتالي الارتباط بالامبريالية العالمية وسقوط الثورة وعودة الاوضاع السابقة.

من هذا يتضح أن الحزب لم يكن يؤمن إطلاقا بوجود طريق ثالث يقوم على أساس القيم والآمال الوطنية والدينية للشعب الايراني. أي إنه كان يرفض في الحقيقة شعار الاساس للثورة والشعب وهو شعار: لاشرقية، لاغربية، جمهورية اسلامية».

ثم وجه مهدي كيهان نداءً مسهباً الى أنصار حزب توده جاء فيه:

«لم نفهم مجتمعنا، ولم نفهم ثقافتنا الاسلامية الغنية. هثنا وراء المستوردات الفكرية الاجنبية دونما تفكير. تركنا ما عندنا لنستجدي ما عند الاغانب، وأهم من ذلك أننا اخترنا طريقا دون أن تكون لنا معرفة بماهية قادته وسوابقهم، وسمحنا لهؤلاء القادة العملاء ان يستنزفوا كل طاقاتنا وقوانا على

طريق خدمة أسيادهم. بينما لم يكن هؤلاء القادة يعترفون بأصالة أنفسهم، بل لم يكونوا يقيمون وزنا لاجتماع حزبهم ولوطنهم ولشعبهم ولهذا سقطنا في هذه المأساة الكبرى، تعالوا إذن نفكر تفكيراً مستقلاً حراً، ونتعلم الدروس من الماضي».

كيانوري أيضا

مع أن كيانوري كان قد أدلى باعترافاته بشأن جاسوسية حزب توده لكن «عموي» مدير الطاولة المستديرة لم يترك فرصة الحديث عن خيانات حزب توده الجاسوسية تمر دون أن يشرك السكرتير الاول للحزب في هذا الحديث أيضا فقال كيانوري:

«ما قبل بشأن النشاطات التحسسية لحزب توده هو حقيقة مشهودة منذ بدء الحركة الشيوعية في إيران سواء قبل تشكيل حزب توده حين كان الحزب الشيوعي الايراني يتمثل في مجموعة الثلاثة والخمسين (مرت الاشارة الى هذه المجموعة) أو بعد تشكيل حزب توده.

كان التجسس على امتداد تاريخ الحركة الشيوعية الايرانية يتخذ

شكلىن:

الاول: التجسس على جهاز التنظيم الداخلي. وهذا اللون من التجسس أساء الى الحزب وأضر به كثيرا وعلى سبيل المثال، حين تلاشى الحزب الشيوعي الايراني عام ١٩٤١، وفر قادته الى الاتحاد السوفيتي، واجه هؤلاء القادة تصفية دموية فظيعة شملتهم خلال الحكم الستاليني وبعد انتهاء حكم ستالين تلقينا رسالة تبرئ ساحة أولئك القادة المدومين وتأسف على إعدامهم! وكانت هذه التصفية الدموية إحدى نتائج هذه التقارير التحسسية الداخلية التي كانت ترفع الى المسؤولين السوفيت مباشرة.

واللون الثاني من التجسس في حزب توده هو تقديم المعلومات والوثائق الى الاتحاد السوفيتي وهذه العملية كانت موجودة لدى الحزب دائما وبعد انتصار الثورة الاسلامية وعودتنا الى إيران بدأ المسؤولون السوفيت يطالبوننا بالمعلومات التي يريدونها ونحن انطلقا من تبعيتنا المطلقة، كنا نجد الحزبيين للحصول على هذه الوثائق والمعلومات كي نسلمها الى السوفيت.

وكما ذكر فاننا دفعنا افضل الكفاءات الانسانية والثورية لجيل من الحزب الى مستنقع الرذيلة والفساد، لقد ارتكبنا خيانة كبرى بحق الشعب الايراني بسبب الطريق المنحرف الذي سلكناه، الطريق الذي لا يتلاءم مع مصالح الشعب على الاطلاق».

محمد بورهرمزان

«لم يبق لي أمام التوضيحات التفصيلية التي أدلى بها المشاركون قبلي حديث أقوله، لكنني سأحاول أن أتحدث عن السياسة السوفيتية بشأن حركات التحرر في العالم.

السياسة المصلحية لا المبدئية

طالما ادعى الاتحاد السوفيتي بأنه نصير حركات التحرر العالمية ولكن الحقيقة الكامنة وراء هذا الادعاء هي أن الاتحاد السوفيتي لا يساعد حركة تحررية إلا بعد أن يصيرها ألعوبة بيده، وبعد أن يطمئن إلى أن هذه الحركة تسعى إلى قلب نظام الحكم ليكون بلدها واحداً من الأقطار السوفيتية أي إن مساعدات السوفيت تتجه إلى مصادرة الأهداف التي تسعى من أجلها حركات التحرر. لو ألقينا نظرة على مواقف الاتحاد السوفيتي من حركات التحرر في بلدنا خلال الاعوام الستين الماضية لوجدناها بعيدة كل البعد عن الاسناد الحقيقي، بل طالما اقتضت السياسة السوفيتية طعن الحركة من الخلف».

ثم ذكر «بورهرمزان» نماذج من مواقف الاتحاد السوفيتي من حركات التحرر في إيران خلال فترة حكومة رضا خان «والد الشاه الأخير المقبور»، مثل: موقفه الخياني من الحركة الدينية المعارضة للعميل البريطاني رضا خان وتأيبده لهذا العميل طمعاً في إبرام معاهدة ١٩٣١، وخيانة الاتحاد السوفيتي لحركة الغابة وتعريض أفرادها للابادة بعد أن وعدته الحكومة الايرانية آنذاك بالتوقيع على المعاهدة المذكورة ثم قال: «بعد سقوط رضاخان استمرت سياسة السوفيت تجاه حركة التحرر في

إيران على نفس الطريقة. وذكر الاصدقاء هنا نماذج لذلك مثل مسألة نفط الشمال وحكومة قوام وفرقة الديمقراطيين وحركة تأميم النفط وإصلاحات الشاه. في كل هذه المواضيع نرى الاتحاد السوفيتي لا يابه إطلاقاً بآمال التحرك الوطني ولا بمصالح الشعب الإيراني، بل يسعى فقط لتحقيق مصالحه، وعلى هذا الطريق استخدم حزب توده كآلة لتحقيق أهدافه وحزب توده كان تابعاً أعمى لهذه السياسة المتناقضة وكان ذلك سبباً لعزله عن ساحة النضال.

وبعد الثورة استمرت سياسة الاتحاد السوفيتي في توجيه الضربات لحركة التحرر في إيران. وموقفه من الحرب المفروضة على الجمهورية الإسلامية مظهر واحد لهذه السياسة. فالسوفيت كانوا على علم بأن صداماً اعتدى على إيران بالاتفاق مع أميركا وبالاتفاق مع بختيار بشأن فصل خوزستان ولكنه، بعد الحرب، بدل قطع إرسال الأسلحة إلى العراق زاد من ميزان تصدير أسلحته إلى صدام بل زوده بأسلحة أكثر تطوراً.

الاتحاد السوفيتي يرفع اليوم عقيرته مع كل أسياذ صدام مطالباً بوقف الحرب واحلال السلام، ويقف ساكناً أمام القصف الوحشي الذي تتعرض له المدن الإيرانية الآمنة. ماذا يعني إسناد الاتحاد السوفيتي لنظام صدام المدعوم من قبل أميركا؟! ألا يعني أن الاتحاد السوفيتي لا يفكر إلا بمصالحه؟! ألا يعني أنه يطعن من الخلف كل حركة تحريرية تريد أن تعيش مستقلة عن الارتباط بالشرق والغرب؟!

وفي أفغانستان نرى الاحتلال السوفيتي لارض أفغانستان بحجة الدفاع عن حرية الشعب الأفغاني واستقلاله. بهذه الحجة يجمع جماهير الشعب الأفغاني ويحتل مساحات واسعة من أراضيه.

وفي الشرق الاوسط نرى الاتحاد السوفيتي لا يحرك ساكناً تجاه الهجوم الاميركي الصهيوني على حركات التحرر الفلسطينية اللبنانية وتجاه السيطرة الاميركية المطلقة على المنطقة.

موقف الاتحاد السوفيتي حتى من عملائه - كحزب توده - مصلحي صرف لا يفكر حتى بمصالح العملاء. لقد دفع الاتحاد السوفيتي حزب توده مدة أربعين عاماً إلى هاوية التجسس دون أن يفكر في العاقبة التي سيتعرض لها أفراد الحزب

جراء هذه الخيانة. إننا اليوم نرى الفرق الشاسع بيننا وبين أمة حزب الله في إيران. الأمة تحركت على طريق استقلالها الواقعي ونحن تحركنا على طريق العمالة للسوفيت. الأمة اعتمدت على نفسها ونحن اعتمدنا على الاجانب، الأمة خلقت قيما جديدة ونحن تحركنا ضد كل القيم.

الامة أوجدت على الساحة العالمية إيران الاسلامية التي أصبحت قدرة تحسب لها كل القوى الكبرى ألف حساب. الامة في إيران أثبتت أن الشعب قادر بقوة إيمانه وبقبضاته الخالية أن يقف بوجه أعنى قوة، ونحن أمام هذا الايمان الشامخ للامة كنا نشكك في إمكان الثورة بدون دعم خارجي.

بعد أربعين عاما من العمل نخرج اليوم من الساحة مطرودين صاغرين ممقوتين وهذه عبرة لكل الاجيال القادمة».

اعترافات الطاولة المستديرة

الحلقة الثالثة - مواقف حزب توده من الثورة الاسلامية^{٩٠}

في هذه الحلقة تحدث المشاركون عن خيانات حزب توده في الجمهورية الاسلامية والمواقف المتناقضة المناقضة لهذا الحزب تجاه قضايا الثورة الاسلامية وعن المظاهر التكتيكية والاهداف الاستراتيجية للحزب خلال فترة نشاطاته العلنية بعد انتصار الثورة الاسلامية.

أحاديث المشاركين في هذه الحلقة جمع وتبويب لما قالوه في اعترافاتهم السابقة ولذلك نعرض عن ذكر أكثرها ونكتفي بالعرض التالي:

عباس حجري

تحدث عن الاخطاء القانونية التي ارتكبتها حزب توده في الجمهورية الاسلامية، وعن بداهة حل وحظر أي حزب يرتكب مثل هذه الاخطاء، ثم أشار الى أن تاريخ الحزب مليء بالانحرافات الناتجة عن أيديولوجيته الغربية على أرضية هذا الوطن وعن انتمائه وعمالته للاجانب ثم قال:

«كل هذه الجرائم ارتكبتها بحق شعب مستضعف متأهب دائماً لتلبية نداء إمامه وحاضر دائماً على ساحة الكفاح، ويتحمل كل ألوان الصعاب من

أجل الثورة.

حين أفكر في هذه الجماهير أحس بخجل عميق. لم أكن أتصور يوماً بأني أحمل تجاه الجماهير مثل هذا الاحساس بالخجل بعد أن قضيت ٢٥ عاماً من عمري في سجون الشاه دفاعاً عن العدالة الاجتماعية».

منوچهر بهزادي

«المهدف النهائي الاساس للحزب بعد انتصار الثورة الاسلامية العظيمة واقامة الجمهورية الاسلامية الايرانية هو الاطاحة بنظام الجمهورية الاسلامية، وتسلم السلطة وإقامة حكومة مرتبطة بالاتحاد السوفيتي.

ومن أجل تحقيق هذا المقصد التزم الحزب بأهداف تكتيكية واستراتيجية، ومراحل آتية قريبة المدى، ومراحل بعيدة المدى وسياسة ظاهرية وباطنية.

قبل أن أذكر هذه الاهداف والمراحل لابد من الاشارة الى مايلي:-

- ١ - كان الحزب واثقا من سقوط كل محاولة انقلابية خلال حياة الامام وهذا مادلت عليه تجربة المنافقين وسائر المجموعات الصغيرة المعارضة.
- ٢ - بين الاهداف التكتيكية القصيرة المدى والاهداف الاستراتيجية البعيدة المدى تداخل وارتباط، والفصل بينها غرضه التوضيح والتبيين.
- ٣ - ذكر المشاركون في هذه الطاولة أمثلة كثيرة على هذه الاهداف ولا حاجة الى تكرارها.

الاهداف التكتيكية للحزب

- ١ - السعي لكسب المشروعية لنشاطه العلني من أجل النفوذ في الاجهزة ومراكز الاعلام.
- ٢ - الدفاع الظاهري عن خط الامام بالتعبير الخاص الذي وضعه الحزب لحظ الامام، من أجل الحصول على المشروعية والشعبية.
- ٣ - السعي للتأكيد على وجود نقاط مشتركة بين الاسلام والشيوعية.

٤ - محاولة التغطية على جرائم الحزب السابقة مثل موقفه من مسألة
أذربايجان ومسألة مصدق.

الاهداف الاستراتيجية للحزب

١ - السعي لايجاد تنظيمات حزبية في جميع أنحاء البلاد لتجميع
الطاقات.

٢ - محاولة إيجاد تنظيمات جماهيرية وواجهات حزبية مثل الاتحادات
العمالية والفلاحية، وتنظيمات الشبيبة، والتلاميذ، والطلبة، وتنظيمات
الاقليات، أو النفوذ في التنظيمات الجماهيرية الموجودة مثل المجالس والتعاونيات
وأمثالها.

٣ - صيانة التنظيم الداخلي وتوسيع نطاقه.

٤ - التأكيد على حفظ العناصر النافذة من الحزب في الاجهزة الحكومية
الحساسة.

٥ - إقامة وتوسيع التنظيم العسكري.

٦ - السعي من أجل إضعاف علماء الدين وحكومة الجمهورية
الاسلامية عن طريق تهويل الاختلافات.

٧ - محاولة تضعيف موقف الجمهورية الاسلامية من الحزب، والتركيز
على مسألة إنهاء الحرب.

٨ - طرح المسائل الاقتصادية وتهويل المشاكل الناتجة عن الحرب
والثورة.

٩ - الدفاع عن سياسة الاتحاد السوفيتي بشأن إيران والعالم.

وهنا لا بد أن أذكر أن كل الاهداف التكتيكية والاستراتيجية التي
اخطتها الحزب خاطئة تماما لأنها كانت قائمة على عدم فهم طبيعة الثورة
الاسلامية، وعدم فهم عمق نفوذ الاسلام في أعماق الجماهير الايرانية، وعدم فهم
الدور الحاسم للامام الخميني.

فالتفكير بالانقلاب بعد الامام مثلا، خاطئ للغاية، لان الجيش الايراني
يتشكل من أفراد مسلمين أوفياء للثورة الاسلامية وقد شاهدنا نماذج رائعة من هذا

الوفاء في جبهات القتال. وحرس الثورة قوة عسكرية منبثقة من قلب الجماهير وله كفاءة عالية اكتسبها من حربه ضد العناصر المعادية للثورة، وهو يشكل بأسلحته اليوم جيشاً عقائدياً مستقلاً. هذا إضافة إلى قوات التعبئة التي تدافع اليوم في الصفوف الأمامية والخلفية عن الثورة ومكتسباتها، والجماهير التي استطاعت بقضائياتها الخالية أن تطيح بعرش الشاه المسنود من أميركا».

فرج الله ميزاني

أعضاء قيادة حزب توده اعتقلوا على وجبتين الأولى في ١٧ بهمن ٦١ (٦ شباط ١٩٨٣) والثانية في ٦ ارديهشت ٦٢ (٢٦ - نيسان ١٩٨٣) وفي الفترة بين التاريخين المذكورين كانت بقايا قيادة حزب توده خارج المعتقل تصدر البيانات والتحليلات السياسية، وكان بين أولئك القياديين فرج الله ميزاني الذي طلب منه مدير الطاولة المستديرة أن يتحدث عن تلك البيانات والتحليلات فقال:

«أول رد فعل لنا بعد اعتقال الوجبة الأولى هو إصدار بيان نفينا فيه كل الاتهامات التي وجهت إلى الحزب على لسان المدعي العام للثورة وأكدنا عدم صحة أية واحدة من هذه التهم.

كنا نعلم طبعاً بوجود هذه الجرائم داخل حزبنا، لكننا سارعنا للانكار والتكذيب لاسباب أهمها:

أولاً: إن هذه الجرائم كانت سرية لا يعلم بها إلا عدد قليل جداً.

ثانياً: كنا نعتقد أن المعتقلين سوف ينفون في المعتقلات كل هذه التهم ولا بد لنا ونحن في الخارج أن ننفيها.

ثالثاً: المحافظة على معنويات أعضاء الحزب الذين لم يكن لهم أي اطلاع على هذه الجرائم.

ثم بعد ذلك خطر في أذهاننا أن الادعاء العام قد يبرز للجماهير بعض الوثائق والمستندات التي حصل عليها من أجل إثبات جرائمنا. لذلك رحنا نشيع أن وكالات الاستخبارات الاستعمارية والصهيونية تعمل الآن على تزوير وثائق

ومستندات لإدانة حزب توده، وطفقنا نصب اللعن على الأنتلجنت سرفيس والموساد والسي - آي - أي.

ثم ساورتنا شكوك بامكان ظهور بعض قادة توده للاعتراف بالجرائم، ولذلك عبأنا إعلامنا لاشاعة التعذيب الذي يتلقاه قياديو توده في السجون، والتحقيق الذي يجري معهم على أيدي خبراء وكالات الاستخبارات الامبريالية والصهيونية!!

أما بشأن تحليلاتنا السياسية فقد ركزنا على أن الهجوم على حزب توده إنما هو هجوم على الثورة. ورحنا نردد أن المسألة ليست هي مسألة حزب توده بل هي مسألة الثورة التي تتعرض لخطر الانحراف والسقوط في أحضان الامبريالية!! التحليل الاخير، وإن كان يستهدف إقناع الجماهير واعضاء الحزب الا انه ينطلق بالدرجة الاولى من قناعاتنا نحن.

لقد كنا بسبب تربيتنا الفكرية والحزبية مقتنعين تماما بأن هناك طريقاً واحداً لاغير محاربة أميركا هو الاعتماد على الاتحاد السوفيتي، وأن الاصطدام بالاتحاد السوفيتي يعني التقرب من أميركا لاحالة، ولذلك كنا نفهم الضربة التي وجهت الى حزب توده على أنها تقرب من أميركا.

حين دخلت السجن كنت أتابع باستمرار مواقف الجمهورية الاسلامية ظناً مني أنها ستتجه نحو اليمين، ولكنني لم أجد شيئاً من ذلك، فلا تزال مواقف الجمهورية الاسلامية من الغرب صلبة لا تلين، ولا يزال اتجاه الجمهورية الاسلامية على الصعيد الداخلي خاصا بها، لانحو الاشتراكية ولا نحو الرأسمالية.

لقد كانت كل تحليلاتنا ناتجة عن إفرازاتنا الذهنية وعن القوالب الفكرية التي توطن عقولنا».

ثم تحدث ميزابي عن الحقائق التي كان حزب توده يخفيها في بياناته واعلاناته مثل حقيقة مساعدة السوفيت لصدام، ووجه نداءً الى كل المخدوعين بشعارات اليسار أن يتحرروا من قوالبهم الفكرية، وأن يعودوا الى أحضان الامة.

مهدي كيهان

الاذاعات الموجهة ضد الجمهورية الاسلامية كثيرة، ولعل أبة ظاهرة في التاريخ لم يحشد لها إعلام مضاد - وخاصة على الصعيد الاذاعي - مثلما حشد للثورة الاسلامية. هذه الاذاعات المعادية تنطلق من بلدان الشرق والغرب، ومن أرض عملاء الشرق والغرب، تصب السباب والشتائم وتلفق التهم ضد الاسلام والصحة الاسلامية والثورة الاسلامية، وعلى مسيرتها المستقلة عن الشرق والغرب. وقدما قال الشاعر.

«وإذا أتتك مذمّتي من ناقصٍ فهي الشهادة لي بأني كامل».

من الاذاعات الشرقية التي وجهت أبواقها للنيل من الثورة الاسلامية «الاذاعة الوطنية الايرانية»!! ومهدي كيهان عمل في هذه الاذاعة سنين طويلة قبل انتصار الثورة الاسلامية. فطلب منه أن يتحدث عن ماهية هذه الاذاعة فقال:

«كنت مدة إقامتي في الاتحاد السوفيتي خلال الاعوام من ١٩٦٠ - ١٩٧٢ معلقاً ومذيعاً في هذه الاذاعة. هذه الاذاعة - التي تحمل اسم الوطنية الايرانية - بعيدة كل البعد عن هذه التسمية. لأنها جزء من إذاعة موسكو وتحت إشراف مسؤولي الاعلام السوفيت، وموجهة لتحقيق الاهداف التوسعية المصلحية للاتحاد السوفيتي.

هذه الاذاعة بدأت عملها عام ١٩٥٨ حين عقدت اتفاقية عسكرية بين أميركا وإيران حصلت أميركا بموجبها امتياز إقامة أكبر قاعدة تجسسية ضد الاتحاد السوفيتي في شمال إيران. إضافة إلى قواعد عسكرية نصبت فيها صواريخ موجهة ضد السوفيت.^{٩١}

من الطبيعي أن يكون اتجاه الاذاعة آنذاك معاديا لنظام الشاه، ولكن لم يدم هذا الموقف طويلا، فقد تبدل منذ أوائل سنة ١٩٦١ حين تحسنت العلاقات بين نظام الشاه والاتحاد السوفيتي، وعقدت اتفاقية مصنع صهر الحديد وصناعة

السيارات ومدّ أنابيب الغازين البلدين.

بدأت أحاديث الاذاعة تتجه الى التجديد الضمني باصلاحات الشاه، والى وصف حركة الشعب الايراني المسلم بقيادة الامام الخميني عام ١٩٦٣ بأنها رجعية»^{٩٢}

ثم تحدث مهدي كيهان عن التناقضات الواضحة في موقف هذه الاذاعة من الحرب البعثية العراقية المفروضة على الجمهورية الاسلامية، ومن الغزو السوفيتي لافغانستان ثم قال:

لقد اتضح في الآونة الاخيرة ماهية هذه الاذاعة حين بدأت تتهجم على الجمهورية الاسلامية بعد افترساح أمر حزب توده.

هذه الاذاعة كانت تكيل المدح والثناء للجمهورية الاسلامية، وتصف الثورة بأنها ثورة عظيمة منقذة لجماهير الشعب الايراني من الاستعمار والغزو الامبريالي، أما الآن وبعدها واجه حزب توده مصيره المحتوم فقد غيرت الاذاعة موقفها وبدأت ترفع صوت المعارضة للجمهورية الاسلامية.

هذه الاذاعة بدل أن تسكت على الاقل أمام الفضائح المخزية، التي ارتكبها حزب توده راحت تتهجم على اعتقال قادة الحزب، وتنتشر الاباطيل والاكاذيب بشأن طريقة التحقيق مع أعضاء قيادة الحزب.

لقد أدركنا — نحن في السجن — جميع الحقائق بعد أن بدت أمامنا حقيقة الجمهورية الاسلامية واضحة جلية. إن ممارسات المحققين ومسؤولي السجن معنا ليست من نوع حقن التخدير — كما تدعي الاذاعة المذكورة ذلك — بل إنها من نوع تنبيه الغافلين وايفاظ النيام. لقد فهمنا خلال الفترة القصيرة من اعتقالنا ما لم نفهمه طول حياتنا.

آمننا بأن الطريق الوحيد لانقاذ الامة ينطلق من الاعتماد على الذات لا على الاجانب، ومن الاستناد الى قيمنا الدينية والوطنية، لا الى القوالب الفكرية المستوردة».

حسين جودت

الماركسي العجوز حسين جودت تحدث قائلاً:

«طلبت من الاخوة المسؤولين أن يتيحوا لي فرصة أتحدث فيها عن الموضوعات التالية:

١ - السياسة التوسعية التسلطية للاتحاد السوفيتي والاحزاب الشيوعية في البلدان النامية عامة وبلدنا خاصة.

٢ - سبل الشيوعية في تحقيق هذه الاهداف.

٣ - سبب معارضة الحزب الشيوعي السوفيتي للثورة الاسلامية.

٤ - الاختلافات الداخلية في الاحزاب الشيوعية.

هذه الموضوعات تحتاج الى دراسات مفصلة واستدلالات كثيرة، آمل أن تتاح لي فرصة مستقلة لشرحها».

ثم شكر جودت كل القائمين على أمور السجن لعنايتهم الفائقة بصحته وسهرهم على راحته.

كلمة الختام لعموي

عمويّ لخص مقاله أصحابه في هذه الطاولة المستديرة، ووجه نداءً الى كل المفتونين بالشعارات اليسارية وقال:

«أعلن بصراحة أن الماركسية في المجتمع الايراني غريبة على المعتقدات والتقاليد والقيم والرسالة الاسلامية. وكل الدلائل تشير الى أن الماركسية في المجتمع الايراني وأمام الاسلام قد وصلت الى طريق مسدود».

الهوامش:

- ١- تاريخ سى سالة ايران، بيجن جزني ص ٨.
- ٢- أخطأ كاتب «الموسوعة السياسية» الصادرة عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر، حيث وصف سليمان ميرزا الاسكندري الذي كان من أهم مؤسسي حزب توده بأنه من «المسلمين المتدينين»! راجع مادة (الحزب الشيوعي الايراني).
- ٣- تاريخ سى سالة، ص ٩.
- ٤- ميراث خوار استعمار، مهدي بهار، ص ٣٢٦.
- ٥- تاريخ سياسي معاصر ايران، ج ١، سيدجلال الدين مدني، ص ١٥، ١٦.
- ٦- نفس المصدر، ص ٢١.
- ٧- ولعله من مؤسسي هذه الجمعية في ايران. ويذكر ان مركز هذه الجمعية في اسلامبول حيث تأسست على أيدي بعض الاسلاميين أمثال سيد جمال الدين الأفغاني وعبدالرحمن الكواكبي ومحمد عبده، بهدف توحيد المسلمين تحت راية الاسلام (راجع: تاريخ سياسي معاصر ايران، مدني، ص ٨٣، الهامش ٣).
- ٨- راجع: سردار جنگل، ابراهيم ميرفخراني.
- ٩- تظاهر رضاخان في بداية أمره بأنه معارض لبريطانيا، فقد أخرج (سيد ضياء الدين) عميل بريطانيا المعروف من الوزارة، لكنه بدأ بعد ذلك يعترف بعمالته لبريطانيا صراحة (راجع كتاب، سياست موازنة منفي، ج ١، ص ٣٤). والشاه المقبور اعترف بأن اختلاف والده مع سيدضياء لم يكن سياسياً بل شخصياً (كتاب: مأموريت برای وطن، ص ٥٥).
- ١٠- مجلة الشرق الجديد، المجلد الرابع، ص ٢١٨. نقلا عن گذشته چراغ راه آینده ص ٥١.
- ١١- نقلا عن المصدر السابق، نفس الصفحة.
- ١٢- يذكر كتاب (گذشته چراغ راه آینده) ان الموقف السوفيتي المذكور كان له الأثر الكبير في تمزيق واضمحلال القوى التقدمية الداخلية) على حد تعبير الكتاب، ص ٥٤.
- ١٣- حفيد حاج مؤمن أصفهاني من يهود بغداد، قدم الى أصفهان للتجارة واستقر فيها، وفروغي من مؤسسي الماسونية في ايران (تاريخ رجال ايران، مهدي بامداد، ج ٣، ص ٤٥٠).
- ١٤- گذشته چراغ راه آینده، ط جامي، ص ١٤٣. وكتاب هذا الكتاب شيوعيون يذكرون فيه كثيراً من الحقائق ويخفون كثيراً منها أيضاً، فيخفون مثلاً سبب عدم اشتراك شيوعيين معروفين مثل (پيشه وري) في قيادة حزب توده، ويعربون عن استغرابهم لذلك وسنتين سبب ذلك.
- ١٥- تاريخ سياسي معاصر ايران، د. مدني، ص ١٥٣، الهامش ٣.

١٦- نشرة رهبر، العدد ٤٠٣، ١٩٤٤ نقلا عن كراس: «آيا كمنويستها در نهضت نقشي داشته اند؟» ص ٣٣.

- ١٧- صحيفة (مردم) للمثقفين، عدد تشرين الثاني، ص ١٩٤٤ نقلا عن الكراس المذكور.
- ١٨- نقلا عن «گذشته چراغ راه آينده» ص ١٩٩-٢٠٠.
- ١٩- بل پيروزي، خرمي، ص ٨٨.
- ٢٠- كتاب سياه يا حكومت خانواده ها، أبو الفضل قاسمي، ج ٣، ص ١٤١.
- ٢١- تاريخ سياسي معاصر، ج ١، مدني، ص ١٦١.
- ٢٢- نگرشي کوتاه بر نهضت ملي ايران، ص ٢٧.
- ٢٣- نشرة (بسوي آينده) العدد ١٢١، ١٩٥٠، نقلا عن (آيا كمنويستها در نهضت نقشي داشته اند).
- ٢٤- صحيفة مردم، العدد ٣٧، تموز ١٩٥٠، نقلا عن المصدر السابق.
- ٢٥- صحيفة (بسوي آينده)، العدد ٤٥١ عام ١٩٥١ نقلاً عن المصدر السابق.
- ٢٦- نشرة الجبهة الوطنية، العدد ٢٢، عام ١٩٥٢.
- ٢٧- مصدق و نهضت ملي ايران، ص ١٠٧.
- ٢٨- راجع كتاب: روحانيت و نهضت ملي شدن صنعت نفت.
- ٢٩- وهذا ما كانت تسعى اليه بريطانيا أيضاً التي حاولت مرارا اقناع أميركا بضرورة اسقاط حكومة مصدق قبل أن يسيطر الشيوعيون على السلطة.
- ٣٠- نگرشي کوتاه بر نهضت ملي ايران ص ٧١-٧٣.
- ٣١- كروميت روزفيلت المعروف باسم (كيم) نجل شقيق تيدور روزفيلت الرئيس الأميركي الأسبق. ومن أعضاء وكالة الاستخبارات الأميركية. كان من أهم العناصر الأميركية التي اشتركت في اسقاط حكومة مصدق وهو الذي اعترف فيها بعد صراحة، ان انقلاب ١٩ آب في ايران كان أول عملية خارجية ضخمة نهضت بها وكالة الاستخبارات الأميركية.
- كتاب: مصدق، نفت، كودتا، محمود تفضلي ص ١٥٦.
- ٣٢- رجل معروف بقسوته و بطشه، أصبح عام ١٩٥٧ أول رئيس للساواك، ثم اختلف مع الشاه، وفر الى لبنان ثم العراق حيث اغتيل.
- ٣٣- لم أستهدف استعراض الأحداث التي وقعت بعد انقلاب ١٩ آب بل أشرت الى بعضها، راميا توضيح الوضع الذي آلت اليه البلاد لانتقل الى ممارسات حزب توده في هذا الوضع.
- ٣٤- بيان البنوم الرابع الموسع لحزب توده، عام ١٩٥٧.
- ٣٥- لكن طريقة الاعترافات الأخيرة تغيرت وأصبحت أقرب الى الواقع كما سنرى.
- ٣٦- در باره ٢٨ مرداد، نشرة اللجنة المركزية لحزب توده، ١٩٥٣، ص ١١ و ١٢.
- ٣٧- المصدر السابق ص ١٦.
- ٣٨- القطاع العسكري لحزب توده اتسع خلال الأعوام (٥٠-٥٣) اتساعا واسعا مثل سائر قطاعات حزب توده. ووقف بوجه السلطة علناً في أحداث آذر بايجان. و بعد سقوط الشيوعيين في آذر بايجان، لجأ قسم من أفرادها الى الاتحاد السوفيتي وقسم منهم الى العراق حيث تم تسليمهم الى ايران (تاريخ سى ساه، بيجن جزني، ج ٣ ص ٩).

- ٣٩ — قارن بين عوامل انهزام قيادة حزب توده بعد انقلاب (١٩٥٣) وبين عوامل انهزامها النهائي الأخير (١٩٨٣).
- ٤٠ — گذشته چراغ راه آينده، ص ٦٣٩.
- ٤١ — المصدر السابق، ص ٦٤٧.
- ٤٢ — نفس المصدر، ص ٦٤٤، قارن بين هذا الاعتراف واعترافات (كيانوري) الأخيرة.
- ٤٣ — في السقوط الأخير لحزب توده أمام الدولة الإسلامية حدث العكس، اذ وقعت القيادة الخائنة في الفخ، أما سائر الأعضاء الأبرياء فتمّ الافراج عنهم فوراً بعد أن سلموا أنفسهم الى السلطات المسؤولة.
- ٤٤ — هذا العرض الموجز لحياة خسرو روزبه ومشاعره وأفكاره مستل من دفاعه أمام المحكمة حيث بيّن فيه كل العوامل التي دفعته للانتفاء الى حزب توده.
- ٤٥ — آخرين دفاع خسرو روزبه در دادگاه نظامی، ص ٢٢ وما بعدها.
- ٤٦ — تاريخ سياسی معاصر ايران، ج ١، ص ٢٩٣.
- ٤٧ — نگرشی کوتاه... ص ٧٣.
- ٤٨ — هذه الظاهرة سادت في كثير من بقاع عالمنا الاسلامي، بسبب غياب الشخصية الاسلامية والكيان الاسلامي عن الساحة، لكنها لم تبرز على الاطلاق بعد انهيار حزب توده في ظل الدولة الاسلامية المباركة.
- ٤٩ — تاريخ سياسی معاصر ايران، ج ١، ص ٣٤٤—٣٤٥.
- ٥٠ — نگرشی کوتاه... ص ٩٨.
- ٥١ — مائوتيسم و بازتاب آن در ايران، ص ٩٩، من منشورات حزب توده، عام ١٩٧٤.
- ٥٢ — الكومنترن، الاسم المختصر للاممية الشيوعية أو الاممية الثالثة. تشكل في موسكو عام ١٩١٩ بهدف جمع الاشتراكيين والشيوعيين محاربة الاممية الثانية، وانحلّ عام ١٩٤٣ وخلفه الكومنفرم، أو مكتب اعلام الأحزاب الشيوعية عام ١٩٤٧ في بلغراد، ثم انتقل في السنة التالية الى بخارست.
- ٥٣ — روحیه غارودي، كان حتى عام ١٩٧٠ الدماغ المفكر للحزب الشيوعي الفرنسي، لكنه طرد من الحزب على أثر انتقاده للموقف السوفيتي من تشيكوسلفاكيا. بدأ بجوارم الأديان من خلال كتابه «ماركسية القرن العشرين»، ثم دافع عن الاسلام في كتابه (من أجل حوار مع الحضارات)، ثم أعلن اسلامه في السنوات الأخيرة.
- ٥٤ — نشرة «رهبر» الناطقة بلسان حزب توده، العدد ٢٨١.
- ٥٥ — نفس النشرة، العدد ٢٥٧.
- ٥٦ — الثقافة الجديدة، السنة ٢٩، العدد ٣، كانون الثاني ١٩٨٢ مقال: نظرة على الاسلام والحركات الاسلامية في عالم اليوم. بقلم أسفاسيليف.
- ٥٧ — نفس المصدر السابق.
- ٥٨ — نفس المصدر السابق.
- ٥٩ — الثقافة الجديدة، العدد ١١، ١٢، السنة ٢٨، أيلول ١٩٨١ مقال: ماذا يجري في ايران.
- ٦٠ — نفس المصدر السابق.
- ٦١ — كيانوري، هو حفيد «آية الله فضل الله التوري، شهيد الحركة الدستورية، الذي وقف بوجه

سقوط قوانين ايران في حضيض الحضارة الاوروبية، ونادى بضرورة اتخاذ الشريعة الاسلامية مصدراً وحيداً للنظام والقانون. فحُكِمَ لذلك بتهمة معاداة الاتجاه نحو الدستورية في الحكم، وحُكِمَ عليه بالاعدام. ونفذ الحكم فيه».

وجدير بالذكر ان الشهيد، وهو والد نورالدين كيانوري، صَفَّقَ تحت مشقته والده، معرباً عن ابتهاجه بهذا العمل وعن تأييده التام! (للدستورية).

٦٢ - الموسوعة السياسية، مادة (توده).

٦٣ - جدير بالذكر أن بعض المواطنين دخلوا المعسكرات أيضاً خلال الساعات الأولى للانتصار الثورة، وأخذوا منها كميات من الأسلحة، حملها بوجه أعداء الثورة، لكنهم سرعان ما سلموها إلى المساجد بناءً على نداء الامام الخميني، وبذلك تشكلت اللجان الثورية في المساجد.

٦٤ - الثقافة الجديدة، العدد ٢، السنة ٢٩، مقال «الثورة الايرانية: أعداؤها وأصدقائها» نورالدين كيانوري.

٦٥ - أحد أعضاء الكادر المركزي لمنظمة مجاهدي الشعب الايرانية، كان من أكثر أعضاء المنظمة إصراراً على إقامة علاقات (طيبة) مع الاتحاد السوفيتي. بعد اعتقاله وجه نداءً إلى أعضاء منظمة مجاهدي الشعب حذّرهم فيه من مغبة الاصطدام بنظام الجمهورية الاسلامية وأدان مواقف منظمته، ثم أُعِدِمَ. فأدان حزب توده عملية اعدامه.

٦٦ - كانت الوثائق ترتبط فيما يبدو بملف (الجنرال مقري)، الذي اعتقل في عهد الشاه بتهمة التجسس لصالح الاتحاد السوفيتي، وحوكم ثم أُعِدِمَ بعد أن اعترف بكل علاقاته بالروس.

٦٧ - استناداً إلى ما قاله السيد مهدي كني في خطبة صلاة أول جمعة اقيمت بعد اعترافات حزب توده.

٦٨ - راجع فلسفتنا، ١٦٩-١٨٧، واقتصادنا، ٩٣-١٠٠ للامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر.

٦٩ - الأنفال ٣٦-٣٧.

٧٠ - راجع مقال «في سبيل وحدة القوى الوطنية، الثقافة الجديدة، العدد (١) السنة ٢٩، تشرين الثاني ١٩٨١. ومقال «الثورة الايرانية: أعداؤها وأصدقائها» نفس المجلة، العدد ٢ من السنة المذكورة. وكلا المقالين لنور الدين كيانوري.

٧١ - في العالم العربي ظهرت مثل هذه المحاولات، حين راح نغريفتش عن المادية الديالكتيكية في الفكر الاسلامي، وزعم أنه عثر عليها في أفكار ابن رشد وابن الطفيل.

٧٢ - سيطرت العناصر اليسارية طبعاً لمدة يومين، بعد انتصار الثورة الاسلامية على الاذاعة في طهران، لكنها كُنست بسرعة بعد أن اتضحت هويتها للجماهير المسلمة.

٧٣ - نفوذ العناصر المعادية للثورة الاسلامية في الأجهزة الرسمية وغير الرسمية كلف الثورة كثيراً، فقد أدت إلى انفجار الحزب الجمهوري الاسلامي على يد «كلاهي»، وانفجار مبنى رئاسة الوزراء على يد «كشميري»، وكلاهما من أعضاء منظمة مجاهدي الشعب. غير أن القضاء على هذه العناصر النافذة يعتبر من معجزات الثورة الاسلامية في ايران.

٧٤ - من المضحك أن بعض الكتاب راح يفسر ظاهرة انهيار حزب توده، بأنها تقرب من الجمهورية الاسلامية نحو الصين!! بعد أن رأى هذا الكاتب استمرار الرفض الاسلامي لاميركا والاتحاد السوفيتي معاً

بعد الانهيار. راجع مقال: «طهران نسفت الجسور مع موسكولتشق الطريق الى بكين»!! الحوادث، العدد ١٣٨٤.

٧٥ — من الظواهر المدهشة في الدولة الاسلامية المباركة، نهوض الامة بمسؤوليات كشف جيوب التآمر، وهذه المشاركة الجماهيرية الواسعة جعلت الحكومة قادرة على أن تنهض بمسؤوليات أمنية تعجز عنها الحكومات ذات شبكات المباحث والاستخبارات الواسعة.

٧٦ — اعتمدنا في ترجمة هذه الاعترافات على مانشرته صحيفة اطلاعات الصادرة في ١١ أربيهشت ١٣٦٢ (١ مايو — أيار — ١٩٨٣)، العدد (١٧٠٠٠).

٧٧ — نفس المصدر السابق.

٧٨ — سيتحدث كيانوري عن المزيد من خيانات حزبه في مقابلات قادمة.

٧٩ — إعتدنا على مانشرته صحيفة اطلاعات العدد (١٧٠٠٢).

٨٠ — «بنك» في الفارسية تعني: القاصد، الرسول، ساعي البريد.

٨١ — صحيفة اطلاعات، العدد (١٧٠٠٣).

٨٢ — صحيفة كيهان، العدد ١١٩٨١، الصادر في ٢٦ ذي الحجة ١٤٠٣ هـ.

٨٣ — مثل هذه المقدمات والتحيات موجودة في مقدمة حديث جميع المعتزين، حذفناها للاختصار.

٨٤ — راجع مقدمة «اقتصادنا» للامام الشهيد الصدر، و «الاقتصاد الاسلامي» للدكتور محمد المبارك وسجلت الجمهورية الاسلامية في هذا الحقل انتصارا كبيرا، راجع «جهاد البناء» ضمن سلسلة «قضايا الجمهورية الاسلامية» منشورات مؤسسة البعثة. طهران.

٨٥ — هذا ما جاء على لسان الدكتور مراد وهبة، وهومن رواد التغرب والمسخ الفكري. ازدادت نشاطاته أخيرا في ظل «مصر كامب ديفيد» لبث الفكر المادي العلماني، وهو الآن يصول ويجول في جامعة عين شمس و يقيم المؤتمرات (الفكرية)، وآخرها مؤتمر «الفيلسوف والشاعر» راجع مقاله تحت عنوان (حوار حول العقل العربي) مجلة الشراع، العدد ٨٣، ١٠، تشرين الاول، ١٩٨٣.

٨٦ — في هذه الفقرة يشير كيانوري الى نوع من الافتراق بين موقف توده وموقف السوفيت، ومثل هذا الافتراق يتطلبه أحيانا تكثيك السوفيت عند اتخاذ بعض المواقف. ولكن كيانوري يعود عند حديثه عن موقف توده والسوفيت بما يسميه تيار الامام الخميني في الثورة الاسلامية، فيبين العمالة والتبعية التامتين.

٨٧ — سبب عدم دعوة (يشه وري) كان — كما ذكرنا — حرص حزب توده في بداية تشكيله على قطع علاقته بمن سبقه من الشيوعيين كي لا يتحمل تبعات خيانة أسلافه.

٨٨ — واضح أن المجتمع الإيراني الذي يتحدث عنه شلتوكي هو المجتمع الإيراني المسلم وعامل هذا التضاد هو وجود الاسلام فكراً وثقافة وروحا في إيران وهذه مسألة بيّنة لا تحتاج الى استدلال.

٨٩ — عن صحيفة كيهان، العدد (١١٩٨٧)، أكتوبر ١٩٨٣.

٩٠ — نقلا عن صحيفة كيهان، العدد (١١٩٩٧) ٢٥ أكتوبر ١٩٨٣.

٩١ — هذه القواعد التجسسية فُكِّك بعضها قبيل انتصار الثورة الاسلامية بأيدي الخبراء الاميركيين قبل فرارهم من إيران، وأتلف الباقي منها بأيدي الجماهير المسلمة، كما ان القواعد العسكرية تستعمل اليوم بالدرجة الاولى لضرب مصالح أميركا وعملائها في المنطقة، وما كان من الاتحاد السوفيتي تجاه هذا الجميل الكبير الذي أسدته الثورة الاسلامية له إلا أن جازاها بدعم حزب توده للاطاحة بالنظام

الاعترافات الكاملة لـ (منظر حزب توده المنحل)

- ١- ما يلي تقدم اليه ككتاب للاطلاع على حياة حزب توده المنحل، والتي أشار فيها إلى:
- ٢- حياة الحزب.
- ٣- التاريخ الأسود للحزب.
- ٤- الأيديولوجية الماركسية.
- ٥- الكتب التي أمناه فيها أن الاسم بالحزب.
- ٦- تأمر الشرق والغرب عن الاسم.
- ٧- حملة أخرى من الممثلين التي كتبت بحياة حزب توده وأربابها الطفرة.
- ٨- وبتلاد الادعاءات الماركسية.

الاسم الثاني

وهذا هو الذي قيل ان الفيل المذكور شرقيا وغربيا يتركه كما انها من سائر اقسامه
ولكن هذه النسخ التي تحت يديها الصيغة الاسلافية. ومن هذا ان الفيل الاسلافية في اولها واسمها في
الاسلافية الاولى من غير ان يكون اسلافيا

(والصناديق بنوعها) ما قلده الامارات كفايتها كما

وخلال اقامي في المنيا الديمقراطية والتي كانت (1971) طاب...
واضحت نشاطاتي في حزب توده، وكنت انا من نشاطات اعلامية...
الصحف والشرائح. وحصلت على شهادة دكتوراه في الفيزياء من...
بجانبه في سنة 1971 وله كتاب «الزيت والنفط»...
بجانبه في سنة 1971 وله كتاب «الزيت والنفط»...
والدراسة حول الرأى الكونية والفرق بين الاقتصاد في ايران...
«الزيت والنفط» في سنة 1971 وله كتاب «الزيت والنفط»...
التي اعيد طبعها في ايران... سنة «الزيت والنفط»...
- 1971 وله كتاب «الزيت والنفط»...
والزيت والنفط... سنة 1971 وله كتاب «الزيت والنفط»...
والزيت والنفط... سنة 1971 وله كتاب «الزيت والنفط»...
في كتابي «الزيت والنفط»... سنة 1971 وله كتاب «الزيت والنفط»...
سنة 1971 وله كتاب «الزيت والنفط»...
1971 وله كتاب «الزيت والنفط»...
عشرة ايام من سنة 1971 وله كتاب «الزيت والنفط»...
بجانبه في سنة 1971 وله كتاب «الزيت والنفط»...
له كتاب «الزيت والنفط»... سنة 1971 وله كتاب «الزيت والنفط»...
بجانبه في سنة 1971 وله كتاب «الزيت والنفط»...

- فيما يلي نقدم النص الكامل لاعترافات «احسان طبري» منظر حزب توده المنحل، والتي أشار فيها الى:
- حياته الحزبية.
 - التاريخ الأسود للحزب.
 - الأيديولوجية الماركسية.
 - الكتب التي أساء فيها الى الاسلام وتاريخه.
 - تأمر الشرق والغرب على الاسلام.
 - وجملة أخرى من المسائل التي تثبت خيانات حزب توده وارتباطاته القذرة، وبطلان الادعاءات الماركسية.

* حياتي ودراساتي:

انني المدعو «احسان طبري». ولدت عام ١٩١٦ م، ووالدي هو المرحوم حسين طبري المشهور بـ «فخرالعارفين» حفيد المرحوم الحاج الشيخ محمود المجتهد الطبري.

في عام ١٩٣٤ تعرّفت على مجلة «دنيا» التي كان يصدرها «تقي أراني»، وبعد عام من ذلك تعرّفت على «تقي أراني» نفسه.

في عام ١٩٣٧ م دخلت السجن، وبعد عام — أي في عام ١٩٣٨ — حوكت مع مجموعة كانت تسمى مجموعة الـ (٥٣) شخصاً، فسجنت، ثم أُبعدت الى مدينة «أراك».

في عام ١٩٤١ م وبعد سقوط الدكتاتور «رضاخان»^١ شاركت في الاجتماع التأسيسي لحزب توده الذي عقد في بيت «سليمان محسن اسكندري»^٢. ومنذ ذلك التاريخ وحتى لحظة اعتقالي في أوائل عام ١٩٨٣ م كنت قد أمضيت ٤٢ عاماً في الحزب بدرجة عضو.

في الوهلة الأولى أصبحت عضواً في لجنة التفتيش، وبعد المؤتمر الأول للحزب عام ١٩٤٤ م أُنتُخت لعضوية اللجنة المركزية، وكنت أبذل نشاطاً متواصلاً في الشعبة الإعلامية للحزب. وبعد الإعلان عن عدم شرعية الحزب في عام ١٩٤٨ م خرجت من البلاد وأمضيت (٨) أعوام في الإتحاد السوفيتي و (٢٢) عاماً في ألمانيا الديمقراطية.

أول عمل قمت به في الإتحاد السوفيتي هو إعداد برامج أدبية باللغة الفارسية لراديو موسكو، وكنت في نفس الوقت أواصل دراستي الحرة في المدرسة الحزبية العالية. وبعد أن أنهيت دراستي، دخلت أكاديمية العلوم الاجتماعية، فتمكّنت من نيل درجة الترشيح للعلوم الفلسفية. وكنت أدرس على يد البروفسور قسطنطينوف رئيس تحرير دائرة المعارف الفلسفية، والبروفسور روزنتال وهو منطقي مشهور، والبروفسور فرانتسو، والبروفسور دين نيك، والبروفسور يوف جوك، وكانوا جميعاً من الأساتذة المشهورين في الفلسفة.

وخلال اقامتي في المانيا الديمقراطية - والتي دامت (٢٢) عاماً -
واصلت نشاطاتي في حزب توده، وكنت أمارس نشاطات اعلامية تمثلت باصدار
الصحف والنشرات. وحصلت على شهادة دكتوراه في الفلسفة من اكااديمية العلوم
الاجتماعية.

ومن نشاطاتي هناك ؛ إصدار الكتب التالية: «مقالات فلسفية»^٣
و«دراسة حول الرؤى الكونية والحركات الاجتماعية في ايران»^٤ و«ايران خلال
القرنين الماضيين»^٥ و«مؤسسة تعليم فكر الثورة»^٦، إضافة الى الكثير من المقالات
التي اعددتها وطبعها في ايران.

و كنت في المانيا الديمقراطية أدرس على يد البروفسور راين هولس،
والبروفسور هايدن. اما نشاطاتي الحزبية فكانت متمثلة بادارة شؤون مجلة «دنيا»
وجريدة الشعب «مردم» واصدار كراسات حزبية. كما عملت لفترة من الزمن
في راديو «بيك ايران».

في المؤتمر الرابع للجنة المركزية الذي عقد عام ١٩٥٨ أُنْتُخِبْتُ عضواً
للجنة التنفيذية التي تمخضت عن هذا المؤتمر. وكانت اللجنة التنفيذية خلال
عشرة أعوام مؤلفة من رادمنش و كامبخش واسكندري، ثم أُعيد تشكيلها عام
١٩٧١ فأصبحت عضواً فيها.

وخلال (٣٠) عاماً شاركت في المؤتمرات والاجتماعات العالمية
للأحزاب الشيوعية كعضو أو رئيس وفد حزب توده. ففي عام ١٩٦٠ م حضرت
الاجتماع الذي أُقيم بمناسبة مرور (١٥٠) عاماً على ولادة كارل ماركس، كما
حضرت عام ١٩٦٩ م الاجتماع العاشر لجمهورية الصين الشعبية، إضافة الى
مؤتمرات الاتحاد السوفيتي والمجر ورومانيا.

في عام ١٩٧٨ م اندلعت الثورة الاسلامية في البلاد، وأطاحت بالنظام
البهلوي والسلطة الامبريالية في ايران. ونتيجة لانتصار الثورة، وجد حزب توده
الفرصة مناسبة للعودة الى البلاد. وكما في السابق، بدأت أمارس نشاطات
اعلامية، وأدير الشعبة الأيديولوجية، أي التعليم، والتحقيق،
والاعلام. ومنذ شهر شباط من عام ١٩٨٣ م وأنا موجود في
السجن.

الملف الأسود لحزب توده:

والآن أريد أن أتحدث بعض الشيء عن (حزب توده) المنحل، وقضاياها الأخيرة، والمتمثلة بالتجسس وتشكيل منظمة سرية، والقناع الذي كان يتستر به. وهذه الممارسات إنما جاءت للاطاحة بالجمهورية الاسلامية. فحزب توده كان يحاول الظهور بمظهر الصديق والمؤيد للجمهورية الاسلامية، لكنه في الحقيقة كان يدبر المؤامرات. وهذه خيانة كبرى بحق نظام يتمثل أساسه بجموع الشعب.

انني علمت بمحاكمة أعضاء التنظيم العسكري لحزب توده المنحل، وتعرفت من خلالها على مدى خيانة هذا الحزب (!).

ان المشاهدين الأعزاء عرفوا من خلال هذه المحاكمة انه في الوقت الذي كانت جماهيرنا الباسلة تحشد كل طاقاتها للتصدي للمعتدين الصداميين وأسيادهم الشرقيين والغربيين، أو حين كانت تدافع عن وطنها الإسلامي بتضحياتها الرائعة والمنقطعة النظر، كان حزب (توده) يسعى للنفوذ في الجيش ويواصل نشاطاته التجسسية. فعلى سبيل المثال كان - من خلال «أفضلي» - القائد السابق للقوة البحرية - يسرق الأسرار العسكرية الخاصة بالشعب الإيراني المضحى ويرسلها الى الاتحاد السوفيتي.

ولقد تمّ الاعلان عن انحلال حزب توده بعد أن اتضحت مخططاته وخياناته. وليس لحزب توده بعد اليوم أي مستقبل، فقد اسودّ وجهه، ولم يبق منه في تاريخ البلاد سوى ملفه الأسود.

الفكر الماركسي مليء بالخداع والتصورات الواهية:

إنّ الماركسية كانت تشكل أيديولوجية حزب توده المنحل. وهذه الأيديولوجية أدت الى انعزال الحزب وانزوائه عن المجتمع الاسلامي، كما أدت الى التبعية الفكرية والعملية للاتحاد السوفيتي وسائر الدول الاشتراكية الاخرى. ومثلما أثبت التاريخ فان هذه الأيديولوجية مليئة بالخداع والتصورات الواهية

والأباطيل.

ونشاطات حزب توده كلها تحكي عن المناورات السياسية والمغامرات والتآمر، وهذه الميزات كانت لها مبررات ماركسية. ولهذا فإن جميع أخطاء الحزب لها جذور أيديولوجية.

وتاريخ الحزب الشيوعي الإيراني وحزب توده المنحل مليء بالأموور والممارسات التي تبيّن هذه الميزات.

والتححرر من قيود هذا النوع من التفكير والعمل، والتفاعل مع الناس، هما سبيلان كفيّلان لانقاذ الذين قيدوا أنفسهم بأسلوب التفكير هذا، وإعادة الشخصية لهم من جديد.

* الكتب التي ألفتها حول الإسلام مزيفة وغير معتبرة:

اسمحوا لي هنا أن أتحدث بعض الشيء عن نفسي. انني -باعتباري من الأعضاء القياديين لحزب توده- أرى نفسي مساهماً في جميع جرائم الحزب، ولهذا السبب أطلب من المحضر الشريف لقائد الثورة الاسلامية الكبير والشعب المنجب للشهداء أن يقبلوا اعتذاري ويصفحوا عني -استغفرالله ربي وأتوب اليه-.

لقد كانت مهمتي في اللجنة المركزية لحزب توده المنحل، تتمثل بإدارة شؤون الشعبة الأيديولوجية. وهذه المهمة كانت قد أنيطت بي منذ فترة مديدة. ولهذا السبب ألفت بعض الكتب حين كنت خارج البلاد، من جملتها: دراسة حول الرؤى الكونية والحركات الاجتماعية في ايران، ومقالات فلسفية، وإيران خلال القرنين الماضيين^٧.

وماورد في هذه الكتب حول الإسلام وتاريخه وحياة المفكرين الاسلاميين وأفكارهم مزيف وغير معتبر، إذ أن أكثر المصادر تعود لأوروبيين صهيانية وعملاء للامبريالية أو المؤرخين ماركسيين لهم أغراض معينة. ومن جملة هؤلاء؛ ارنست رونان، غولد زيبردوزي، لامنس، غولهاس، غايغر، بطروشوفسكى، وغيرهم. وجميع هذه المصادر غير معتبرة.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ بعض هذه المصادر تعود لإيرانيين

كانوا يعملون لحساب نظام الشاه، أو لهم علاقة بالماسونية. واعتبار هذه المصادر ليس بأكثر من المصادر التي أشرت إليها آنفاً. إضافةً إلى أنني قلماً كنت أستفيد من الكتب الإسلامية، وذلك لعدم توفرها لديّ. ومن هنا فإن هذه الكتب مليئة بالمغالطات والتزييف، ويجب الإبتعاد عنها. وبالنسبة لكتاب «ايران خلال القرنين الماضيين» فعلاوة على الأخطاء الموجودة فيه، هناك خطأان: الأول هو اعتبار «شريعة سنكلجي» شخصاً متجداً في المسائل الإسلامية في حين — وعلى حد قول الامام الخميني في كتاب «كشف الاسرار» — ان هذا الشخص لم يقل حتى كلمة واحدة حول السياسة التي تشكل أساساً للفضايا الاجتماعية في الاسلام. وهذه السياسة هي مجد ذاتها سياسة تخدم الاستعمار.

ويتمثل الخطأ الثاني باعتبار «أحمد كسروي» في عداد الأحرار، في حين أن (كسروي) قد امتدح — في بداية نشاطاته — «رضا شاه» في كتابه «دادگاه»^٨. إضافة إلى أنه قد استخدم أسلوب الغزل مع البهائيين في كتابه الصادر بعنوان «بهائيگري»^٩.

تأمر الشرق والغرب على الاسلام:

في الواقع انه كان وما يزال — هناك في الشرق والغرب — تيار يبذل ما بوسعه ضد الاسلام. وقد وصفه الشهيد المطهري بالمقصد، إذ تمّ اعداد آلتين قاطعتين من الشرق والغرب للقضاء على الاسلام واقتلاع جذوره. وان معارضة «كسروي» ومحاولات «شريعة سنكلجي»، ونشاطات البهائيين، والسير على نهج عمر الحنّام، والسيارات الاحادية، كل هذه الأمور معادية للدين الاسلامي وتآمر عليه. انهم يتحدون الاسلام ويحرّفونه. ولقد آن الأوان للاهتمام أكثر بالاسلام في المجتمع وتعريفه على العالم أجمع.

وفما يتعلق بمؤلّقاتي الأيديولوجية، فاني اكتفيت بالاشارة الى ثلاثة كتب فقط، في حين أن لي عشرات الكتب والمقالات في هذا المجال، وكلّها تستند الى الماركسية.. ولذلك فهي مزيفة من حيث بطلان الأسلوب والمنطق. ورغم انني كنت مخلصاً في كتابتها، إلا أنّ هذه المؤلفات يجب اعتبارها باطلة.

لماذا انتقد الماركسية؟

والآن اريد نقد الماركسية. لكن وقبل كل شي ء أشير الى الملاحظة التالية وهي أن نقدي للماركسية ليس وليد لحظة معينة، بل هو ثمرة تفكير طويل ومريّر في السجن. كما لعبت بعض العوامل دوراً مؤثراً في هذا التحول الروحي، من جملتها:

١ - الاعترافات الفردية والجماعية لقادة حزب توده وأعضائه في الاذاعة والتلفزيون.

٢ - الكتب والكراسات التي طالعتها في السجن.

وقد حصلت على الكتب في وقت كنت قد تخطيت فيه جزءاً من الطريق. على سبيل المثال حصلت على مؤلفات العلامة الفقيه الطباطبائي، والشهيد آية الله بهشتي، والشهيد المطهري.

وكتاب «أصول الفلسفة والمدرسة الواقعية» ألّفه العلامة الطباطبائي، فيما كتب حوله الشهيد المطهري شرحاً مفصلاً. وهذا الكتاب الذي كنت قد قرأته في السابق قراءة سريعة، بدأت أستأنس به كثيراً.

وكتاب بداية الفلسفة (ترجمة بداية الحكمة) للعلامة الطباطبائي هو من جملة الكتب الأخرى التي طالعتها. كما طالعت: المقالات الفلسفية والدوافع نحو المادية وشرح المنظومة، ومقدمة حول النظرة الكونية الإسلامية، والعدل الإلهي وغيرها من كتب الشهيد المطهري. وهذه المطالعات كانت مصحوبة بالتفكير والتأمل، وقد جعلت استعداداتي النفسية أكثر ملاءمةً واستقبالاً.

٣ - تعاملي مع الاخوة المسلمين والتباحث معهم. والمسألة التي كانت تتكرر في هذه المباحثات هو أنني كنت لمدة (٤٠) عاماً أعمل لنشر الماركسية عبر كتيبي ومقالاتي، وأثّرت على بعض قرأني الشباب فاندفعوا وراء التصورات الواهية التي كنت أسير وراءها. والآن وقد اتضحت لي شخصياً ثمرة هذه الأيديولوجية، فانني أرى نفسي ملزماً بمساعدة الشباب الذين ساروا في طريق ليجدوا طريق الحق، ولئلا يحتموا في بلد الثورة بالسقف المنهار والحائط المهدم للماركسية، بل

يوجدوا صفوفهم في ظل القيادة الحكيمة لإمام الأمة.
 وكان الاخوة يلفتون نظري الى هذه الوظيفة الدينية والوطنية. كما أن
 توصياتهم جعلتني أهتم بالمسألة التالية وهي الرغبة المليونية الشديدة للشعب
 الايراني في الثورة والجمهورية الاسلامية وإمام الأمة القائد.
 ان هذه الرغبة الشديدة للناس ليست أمراً بسيطاً بالنسبة لشخص يرى
 نفسه جزءاً من تراب وماء هذا الوطن، وأبناً لهذه الجماهير، ومرتبباً بهذه الثورة،
 ومتعلقاً بقائد الثورة. وهذا هو أهم عامل دعائي لأكون حازماً في البحث عن
 الحقيقة والوصول اليها.
 وأرى من الضرورة بمكان أن اشير هنا الى أن التغيير الذي طرأ على
 أفكاري نشأ من هذه العوامل، لا من الخوف أو الضغوط أو ماشابه ذلك.

* هل هناك صحة لادعاء علمية الماركسية؟

علمية الماركسية:

لكي نجري دراسة نقدية للماركسية، علينا قبل كل شيء أن نعرف
 مدى صحة ادعاء الماركسيين حول علمية هذه الأيديولوجية.
 إن ماركس وإنجلس وصفا نظريتها بـ «الاشتراكية العلمية» فيما وصفا
 نظرية أسلافهم الاشتراكيين بـ «الاشتراكية الخيالية». واستناداً الى أقوالهما فان
 الاشتراكيين الخياليين كانوا يهدون نظريتهم للملوك والمتنفذين، ويتوقعون قبول
 أطروحاتهم في مجال العدالة الاجتماعية. غير أن ماركس وإنجلس، كانا يقولان
 إن الدور الحقيقي - أي العامل الثوري، وبعبارة أخرى طبقة العمال - لم يكن
 واضحاً في الاشتراكية الخيالية. إلا أن الاشتراكية العلمية - واستناداً الى ادعاء
 الماركسية - تتوجه بشكل مباشر نحو العامل الثوري، أي الطبقة العاملة بدلاً من
 التوجه الى السلطات.

إن اصطلاح «العلمية» ليس اصطلاحاً وارداً في هذا البحث. فإذا كان
 هناك من يعد المشاريع والبرامج على أساس من تفسيره وتحليله ويراجع الطبقة
 العاملة، فما هي علمية هذا الأمر؟

وقد تكون «العلمية» بمعنى العلمية في العلوم الدقيقة، ولهذا السبب فان

هؤلاء يشيرون إليها - عادةً - عند بيان أفكارهم. و«ماركس» - على سبيل المثال - يقارن أسلوب عمله بأسلوب عمل تشارلز داروين، ويسعى لتوضيح الصورة المميزة للتكامل في المجتمع على ضوء ما أثبتته داروين حول الموجودات الحية.

إن «العلمية» بمعنى العلوم الدقيقة والعلوم الطبيعية هي الحد الأعلى للعلمية، وإن التجربة وحصول الكمية في هذه العلوم - وخاصة في الفيزياء - هما بدرجة كبيرة، ورغم التطورات التي حصلت في العلوم الاجتماعية خلال عصرنا هذا، فانهم لم يقيّموا العلمية على أساس من التجربة والمحاسبات الكمية ولن يستطيعوا أن يقيموها، لأن حواس التقييم والقياسات والعوامل المؤثرة في العلوم الانسانية والاجتماعية هي كثيرة، وإن التحول والتنوع والحركة في داخلها حساسة للغاية. إضافة الى ذلك فإن الوعي الذاتي، والدور الفردي للابداع، والعمل في القضايا الاجتماعية تؤثر على الصورة كثيراً، الى درجة أن القوانين الاجتماعية في أفضل حالاتها ترتفع وتهبط حول المحور المفروض، أي القانون الاجتماعي.

ثم إن هذا المحور المفروض سرعان ما يتغير، لأن جميع الأشياء في العرف الاجتماعي تكون في حالة تحولٍ وصيرورة. والقانون يظهر فقط بهيئة تيار، ويفتقر الى البساطة وتناسق الأجزاء - فيما لو قارناه بالقانون الطبيعي العادي - . إذن كيف يمكن في مثل هذه الحالة القول بأن غليان الماء له كيفية مشابهة للثورة الاجتماعية؟

القانون الاجتماعي تيار لاغير، بمعنى أن الأحكام والمسائل الاجتماعية هي نسبية للغاية، وتتغير في الأماكن والأزمان بمقتضى الأحوال. فالقانون الاجتماعي ليس كمثال القوانين الفيزيائية التي تكون واحدة سواء على وجه الأرض أو في الاجرام السماوية السيارة وماوراءها.

والمحاولات التي تبذل لإعطاء توضيح دقيق حول وضع إنسانيّ واجتماعيّ ما، تصبح قديمة بعد فترة من الزمن، وتفقد علميتها السابقة.

والقاء نظرة على تاريخ تكامل التصورات الاشتراكية للماركسية، يوضح مدى نسبية هذه العلمية، ومدى التباين بين وجهات نظر ماركس وأنجلس من

جهة، ووجهة نظر لينين من جهة أخرى ازاء مسألة الثورة واقامة النظام الاجتماعي مثلاً.

ان البحث في علمية الاشتراكية يبيّن لنا التباين بين الرؤية والتصوري في الماركسية من جهة، والواقع الذي تواجهه الماركسية من جهة أخرى.

الرؤية والواقع:

هناك اختلاف كبير بين الرؤية التي تصفها الماركسية، والواقع الذي نراه في الاتحاد السوفيتي. إنهم يسمون الاشتراكية - عادة - بالاشتراكية الموجودة في الواقع، ويعتذرون عن عدم امكانية توفير أكثر من هذه الاشتراكية.

وفي الحقيقة هناك اختلاف كبير للغاية بين الاشتراكية التي يصفها قادة الاشتراكية وهذه الاشتراكية الموجودة. فعلى سبيل المثال ان الحكومة والجيش ووكالات التجسس هي أجهزة تسيطر على زمام الأمور في المجتمعات الاشتراكية. في حين ان لينين يتنبأ في كتابه «الدولة والثورة» باضمحلال هذه الأجهزة.

وهذه المسائل قيلت وكتبت قبل انتصار ثورة اكتوبر عام ١٩١٧م، لكن وبعد السيطرة على السلطة إثر الحرب الداخلية، أسس لينين الجيش الأحمر ووكالة «جكا» التجسسية.

لاحظوا مدى الفرق بين الرؤية التي تتحدث عن تلك النظرية، والواقع الموجود. أو على سبيل المثال ان الجميع يعلمون ماهي أسباب الفقر الذي كان يسود المجتمع الروسي قبل الثورة.

ان الثورة الاشتراكية كانت تعد للقضاء على هذا الفقر المزمن، وتوفير حياة مرفهة. واليوم تمر ٦٦ سنة على الثورة الاشتراكية، إلا أن أكثر مطالب الشعب السوفيتي لم تتحقق بعد، وعلى رأسها مسألة الخبز واللحم. وان المستوى المعيشي في الاتحاد السوفيتي هو أوطأ من المستوى المعيشي في بقية الدول الاشتراكية مثل المانيا الديمقراطية والمجر وتشيكوسلوفاكيا.

الميكافيلية:

ان الميكافيلية باللغة العادية، تعني ان الانسان يجب ان لا يشعر بالقلق ازاء هدفه، وان يستخدم كل وسيلة لتحقيق أغراضه حتى وان كانت قدرة ومنافية للأخلاق.

والاتحاد السوفيتي يلجأ في السياسة والديبلوماسية الى جميع أنواع الاشرط والمساومة، وهذا مايفضح المجال لنمو الميكافيلية، ويعقد السياسة بنظر أبناء العالم، ويزيد من تعقد الأوضاع.

والماركسية — في الظاهر — لا تقول مثل هذا الشيء، ولكن هناك مبدأ أخلاقي ماركسي ينتهي الى الميكافيلية. فالماركسية تدعو لاستخدام جميع الوسائل من أجل مايسمى بالأكثرية المحرومة في المجتمع، مؤكدة في نفس الوقت أن السلطة الحاكمة هي الناطقة الرسمية باسم هذه الأكثرية، وان ماتقوم به هو خير. ويمكن عبر هذا المبدأ الوصول ببساطة الى الميكافيلية. والماركسيون يحققون أغراضهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها عن طريق اللجوء الى الأساليب اللاأخلاقية.

والميكافيلية تتواجد بالضبط في الاتجاه المعاكس للسياسة التي يميزها الاسلام. فالاسلام يرى السياسة الصحيحة في السياسة التي كان ينتهجها الامام علي والحسين بن علي (عليهما السلام)، إذ كانا يعلنان عن أهدافها دون أدنى خوف. ولهذا السبب فاننا وانطلاقاً من توصيات امام الأمة نتجنب أي انتقام في قتالنا ضد صدام رغم قدرتنا على الإنتقام.

إذن فان ضرب العدو بالقنابل والصواريخ ليس أمراً عسيراً بالنسبة للقوات المسلحة في الجمهورية الإسلامية.

والملاحظة الأخرى التي تجدر الإشارة اليها حول الماركسية هي التصورات الجازمة. فكثيراً ما تعرّضت علوم الطبيعة والإقتصاد والسياسة للأفكار الجامدة والمتحجرة، وكثيراً ماوقف المجددون بوجه الاشخاص الذين يحملون تصورات جازمة. وكان الصراع مريراً، وكان في بعض الأحيان يسفر عن خسائر،

ولكن في نهاية المطاف استطاعوا أن يجبروهم على التراجع.
وهذه التصورات الجازمة كانت متعارفة الى عهد ستالين، واستمرت
لسنين طويلة، وهي - اليوم - مشهودة في مجالات مختلفة. ففي وقت ما أعلن عن
تناقض علم الوراثة (جينتكس) * مع علم الاطلاعات والسيطرة
(سيبرنتيكس) **، ولكن بعد وفاة ستالين استعاد المدافعون عن العلم منزلتهم
الخاصة بهم وتمكنوا من اجبار دعاة الجزم على الإنسحاب. وفي مجال علم
الاقتصاد فقدت المبادئ الموجودة قيمها مرات ومرات، وتغيّرت وتتغير قوانين
البرمجة الصناعية والزراعية. واينا حصلت تغيّرات أكثر، أُعيد النظر في عدد أكبر
من المبادئ الموجودة.

وهذا الوضع نشاهده على الخصوص بين مايسمى بالأحزاب الشقيقة.
فعلى الرغم من مقاومة الاتحاد السوفيتي وأحزاب أخرى، الا أنه تمّ من خلال
الضغوط، الحيلولة دون انشاء المركز العالمي للأحزاب الشيوعية.
وهذا المركز كان عليه ان يحدد الاستراتيجية العامة، لكن حزب توده
- ممّا يتبيّن من ممارساته - ظلّ حتى أواخر عمره ملتزماً بالجزم، و يتنفس في
الأجواء الاستالينية.

ان أهم حكم لـ «ماركس» ازاء تفسير وتوضيح الظواهر الاجتماعية،
كما بيّنه المجلس على مزارماركس هو: «ان شروط الحياة المادية مثل؛ الغذاء،
الملبس، المسكن، هي عوامل مفضلة ولا تقبل النقاش، بينما العوامل المعنوية
- كالمذهب - لها نواح ثانوية في صف العلم والسياسة والحقوق وغيرها وتتأثر
بالعوامل المادية. والعوامل الأولى هي الأساس، بينما الثانية هي البناء. وطبيعي
ان البناء حين يظهر يؤثر بدوره على العوامل المادية».

و يعزى تفضيل العوامل المادية، الى التقليل من شأن العامل المعنوي في
جميع التحليلات التاريخية والاجتماعية، لكن ومن خلال نظرة الى تكامل المجتمع
البشري يتضح لنا ان هذين العاملين كانا متلازمين منذ خلق الانسان، وان
العامل المعنوي كان ولا يزال يتواجد الى جانب العامل المادي، خاصة وان العامل
الذهني والمعنوي مثل ظهور اللغة والفكر يشكل أساساً رئيساً لظهور النوع الموجود
من الانسان. والفكر هو الذي يحدد الاعمال، لا أن الاعمال هي التي تحدد

الفكر، أو على الأقل هما متلازمان.

لوفصلنا الإنسان عن المجتمع، لما بلغ مرتبته الانسانية مطلقاً، فكيف بالفكر واللغة اللذين يكسبهما من المجتمع؟ ان التلازم هو بشكل بحيث ان البحث عن العامل المقدم، يفسد العمل ويؤدي الى استبدال التاريخ بنسخة معدة من السابق.

وهذا التقدم المطلق للوجود المادي على الوجود المعنوي، والمادة على الروح، والاقتصاد على النفس والأخلاق الإجتماعية، والعمل على الفكر، يعتبر ضغطاً كبيراً عمل على إضعاف البناء العظيم للماركسية. كما أن جعل التاريخ ذا اتجاه واحد فقط هو خطأ اعتبره انجلس ناشئاً منه ومن ماركس. وحين يتحدث ماركس عن الاقتصاد الرأسمالي يبين سيره التاريخي كما يلي:

(و لهذا السبب يتركز الفقر في قطب والثروة في قطب آخر وتتعدد الأقطاب في المجتمع الرأسمالي. وتنضمُّ أغلب الطبقات المتوسطة الى جيش الفقراء في حين تنضمُّ الى الرأسماليين أقلية صغيرة).

لذلك وبالأخذ بنظر الإعتبار وضع الرأسمالية، فإنَّ بطلان هذه المسألة التي طرحت قبل ١٢٠ عاماً قد اتضح بشكل ملموس، إذ توجد هناك لحد الآن طبقات متوسطة قوية وصامدة في الدول الرأسمالية.

وفي هذا التحليل، فان ماركس اعتبر الفقر المطلق أي الفقر الأكثر من السابق، والفقر النسبي أي الفقر قياساً الى الأغنياء، أمرين حتميين للعمال. في حين أن الفقر المطلق ليس له صحة. على سبيل المثال ان أوضاع العمال الإنجليز والفرنسيين وغيرهم الذين يعنهم ماركس هي أفضل مما كانت عليه في القرن التاسع عشر، ولا يمكن اعتبارهم أفقرمما كانوا عليه في القرن الماضي. وهذا لا يعني أن جرائم المجتمعات الرأسمالية وسلبياتها قد انخفضت، بل على العكس. إنها تزداد على مرَّ الأيام. فما من يوم يردون أن ينهدم حائط من البناء القديم للرأسمالية. ولذلك فالرأسمالية ليس لها هي الأخرى أي مستقبل.

الحزب:

ان الماركسيين — وفقاً للتعريف المتداول — يعتبرون الحزب منظمة

طليعية للطبقة العاملة. ولو أخذنا بنظر الاعتبار الواقع الموجود، لا تضح لنا بأن هذا التعريف خالٍ من المحتوى. ففي الحقيقة ان الأحزاب الماركسية الحاكمة إنما هي أجهزة محدودة ومتسلطة، يوصل أفرادها أنفسهم الى السلطة بالوسائل البيروقراطية، ثم يصل الدور الى الجموع الكبيرة من الناس التي تشكل أعضاء الحزب، ويتم تنظيمها بالطرق الادارية. وان الاعضاء الذين نشاهدهم في الأحزاب هم وسيلة لدى الأحزاب لظهار قوتها. فيما يسمى هذا التيار بالحزب الطليعي للطبقة العاملة وتكون علاقته بهذه الطبقة شبيهة بعلاقته ببقية فئات المجتمع، أي أنها علاقة باردة. ومثل هذه الأحزاب لا تعمل لصالح الطبقة العاملة، وانما لصالح المصالح الحكومية الخاصة.

ان تحريف معنى الحزب يصدق بقوة على حزب توده المنحل، الذي كانت تبعيته للاتحاد السوفيتي واضحة للعيان.

ومن المبادئ المهمة التي يتم التأكيد عليها في الشؤون الحزبية، هو مبدأ (الديمقراطية المركزية). وهذا المبدأ يعود بالفائدة على مسؤولي الحزب، لكنه لا يلعب دوراً مؤثراً في مصير الحزب والبلاد، لأنه وسيلة للتصويت والمصادقة وتبرير القرارات.

وعدا اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي التي تعتبر مركزاً لاتخاذ السياسات والقرارات، فإن جميع أجهزة الأحزاب الحاكمة تدار من قبل هذا المركز، وان نشاطاتها هي في الحقيقة انعكاس لنشاطات المركز المذكور. وخلاصة القول ان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي هي التي تتخذ القرارات بشأن القضايا الأساسية.

وطبيعي ان توجد هناك مسائل ليست بدرجة من الأهمية، وتكون مسؤولة النظر فيها من اختصاص الأجهزة البيروقراطية المحلية. وعلى أي حال، فان جهازاً بيروقراطياً قوياً وفعالاً يترأس مجتمعاً متعدد القوميات وذلك على ضوء مبدأ لينين الذي هو أساس التنظيمات الحزبية والحكومية. وهذا المبدأ يصرّح بأن أعضاء الحزب لهم حق انتخاب الكوادر الحزبية، فيما يحق للناس أن ينتخبوا المسؤولين الحكوميين. ويحق لهم جميعاً أن يرفضوا الأشخاص المنتخبين اذا لم يكونوا صالحين، وينتخبوا آخرين بدلاً منهم. ولهم حق انتقاد السلبيات وطرح اقتراحاتهم

والإعلان عن ابداعاتهم. هذه هي جوانب الديمقراطية.

غير أن المركزية تعني ان المسؤولين الحزبيين والحكوميين يحق لهم بعد انتخابهم أن يطلبوا تبعية القاعدة للقيادة. وكان التصور السائد هو أن هذا المبدأ يمكن أن يُعدَّ أفضل نهج لإدارة البلاد، ولكن اتضح - عملياً - انه لا يمكن الموازنة بين مبدأ المركزية ومبدأ الديمقراطية. فلو أُتيح المجال للديمقراطية، لواجهت المركزية مشاكل كبيرة. ولهذا السبب فانهم اختاروا المركزية كمبدأ أساسي من بين هذين القطبين المتناقضين. وكانت النتيجة أن حُرِّمَ الناس وأعضاء الحزب من حقوقهم الديمقراطية نتيجة لضغوط المسؤولين. أما الحقوق الديمقراطية فيحددها المسؤولون ويصادقون عليها. على سبيل المثال تتمُّ بين فترة واخرى المصادقة على قائمة المرشحين في داخل الحزب، ثم تعرض على الناس، ليدلوا بأصواتهم وفق هذه الديمقراطية المفروضة بالقوة. لذلك من الأفضل في مثل هذه الحالات تسمية الديمقراطية المركزية بـ «المركزية الأكيدة». اذ ان المسؤولين المركزيين ان لم يكونوا أساسيين واكثر مركزية، لم يؤخذ كلامهم بنظر الاعتبار في القرار النهائي.

ان انعدام الديمقراطية بمعناها الصحيح في التنظيمات الماركسية هو مرض مزمن لاعلاج له، لأن القيادة تشعر بالرعب من طبيعة الناس ومن فطرتهم، وتبذل ما بوسعها للحيلولة دون ظهور هذه الطبيعة. وهذا هو يجد ذاته نفس الدور الذي يقوم به الامبرياليون الغربيون في بلدانهم، ولكن بطريقة أخرى.

والديمقراطية الغربية ليست إلا شعاراً طناناً وملوناً. فنذ (٢٠٠) عام وأميركا تدير سلطتها بين فئتين محدودتين، وتستخدم تأييد الناس ستاراً لها، في حين أن الديمقراطية في هذه البلاد ليست في الحقيقة سوى ديمقراطية فوضوية.

الأممية:

عندما أصدر ماركس ولينين بيان الحزب الشيوعي في عام ١٨٤٨، كتبوا في نهاية البيان الشعار التالي: «ياعمال العالم اتحدوا». وهذا الشعار تبدل فيما بعد الى شعار الأممية. وقد صدر البيان بخصوص عدة دول أوروبية. فماركس وانجلس دعوا عمال الدول الصناعية الغربية الى الاتحاد. وبعد ان انتصر لينين مع البلاشفة في الثورة الروسية أخذت مسألة حفظ مصالح الثورة طابعاً دولياً، فتبدل

هذا الشعار الى شعار: «أيها العمال والشعوب الأسيرة بيد الاستعمار إتحدوا». وبعد ان اشتد نضال السلم والحرب بعد الحرب العالمية الثانية، تطور الشعار الى: «أيها العمال، أيها الشعب المضطهد، وأيتها القوى التقدمية والمحبة للسلم، إتحدوا» وكلما كبر الشعار، كلما ضاق محتواه الحقيقي الدولي. اذن فصالح الطبقة العاملة والأحزاب الشيوعية (بل ومصالح الحركات التحررية وحركات السلم في كل مكان) أصبحت تابعة لمصالح الاتحاد السوفيتي الدبلوماسية. على سبيل المثال هل من الممكن أن يستنكر مجلس السلم العالمي هجوم صدام على ايران؟ كلا، فهذا الأمر لا يتفق مع الأئمية.

ولذا كان شعار الأئمية في البداية تضامناً معنوياً لاحقاً له. لكنه اليوم تغير الى التبعية، وان أسوأ حالات هذه التبعية هي الارتباط والتجسس. وكان حزب توده نموذجاً لهاتين المسألتين.

وعندما تنشأ الأئمية من أحاسيس ومشاعر أكبر، ومن الشعور بالغرور، فانها تنحط الى درجة يحل معها الجاسوس محل الشخص الثوري. وهذه هي ممارسات التنظيمات التي لا تدرك قذارة هذا الأمر.

ان الأئمية تمثل - في الواقع - سيطرة الأيديولوجية القومية للاتحاد السوفيتي، وعلى الخصوص القومية الروسية التي انتشرت نتيجة لاشتعال ثورة اكتوبر وظهور اللينينية في روسيا.

وقبل أن أوصل حديثي عن الماركسية، أرى من الضرورة بمكان أن أشير هنا الى أنني دونت ونظمت وجهات نظري عن الماركسية وأسئرها قريباً في كتاب خاص.

هذا الكتاب يوضح بطلان الادعاءات الماركسية وأبعادها المختلفة.

والآن لتتعرف على وجهات نظر ماركس ولينين بشأن الثورة.

كان ماركس يتصور بأن الثورة ستقع في دول اوروبا الغربية، ويقول: (مالم تحصل ثورات في الدول الاوروبية المهمة، فن غيرالممكن ان تحصل ثورات في الدول غيرالنامية).

وفي الثمانينات من القرن التاسع عشر كان يرى ان توفرظروف الثورة لايمت الا بعد خمسين سنة، غير ان هذا الأمر لم يتحقق. اما لينين فقد بدأ الثورة في

شرق اوروبا، وكان يقول: (من الممكن ان تقع الثورات في الحلقات الرأسمالية الضعيفة). فد (لينين) يتصور ان الثورة تقع نتيجة لنشاطات حزب صغير ومنضبط، يعمل بسرية، ويسلب القدرة من الهياة الحاكمة.

هذه المبادئ أصبحت فيما بعد أساساً لبرنامج الأحزاب الشيوعية.

ان وجهات نظر ماركس التي كانت تدور حول نضج الظروف الملائمة في الدول النامية تتباين بوضوح مع وجهات نظر لينين الذي كان يفكر في حلقات ضعيفة. ورغم نجاح لينين، إلا ان الثورة في أجواء دولة غير نامية عادت على الاشتراكية بنواقص ومعايب كبيرة لازال مصيرها موضع سؤال. فهذه الثورة لم تستطع في الظروف الخاصة لروسيا ان تتحرر من السلبات الكبيرة للحكومة. وأكبر نموذج على ذلك مجيء ستالين الى السلطة وبقاؤه فيها مدة ٣٠ عاماً وارتكابه جرائم كبيرة في داخل الاتحاد السوفيتي وخارجه.

وبعد موت ستالين، انفصلت بعض الدول، مثل؛ الصين، وألبانيا، ورومانيا وكوريا الشمالية عن الاتحاد السوفيتي، فيما وقعت أزمات كبيرة في: المجر، وألمانيا الديمقراطية، وتشكوسلوفاكيا وبولونيا.

ومما لاشك فيه ان هذه التغييرات الشديدة، أدت الى تغير الاشتراكية، وبالتالي الى هبوط في المستوى المعيشي والحقوق الديمقراطية، ومع ذلك لم تحل حتى اليوم أزمات المجتمعات الاشتراكية. وهذا الأمر كان من حيث الشخصية والعلم ومبادئ العمل السياسي يتباين بشدة مع مواقف ستالين. ولكن خلال عهد لينين كان النظام السائد هو نظام الحزب الواحد وتقلص الديمقراطية مما أدى الى إتاحة كل هذه الظروف السياسية التوسعية في الداخل والخارج.

* الأخلاق في الاتحاد السوفيتي:

انحطاط الأخلاق الخاصة في الاتحاد السوفيتي، هو مسألة تلفت اليها أنظار الآخرين. فاستهلاك المسكرات وخاصة «الفودكا» هو أكبر مما عليه في الدول الأخرى. كما ان اللامبالاة في العلاقات الجنسية هي بدرجة تهدد العلاقات العائلية وتؤدي في كثير من الأحيان الى الطلاق. واصبح الاختلاس في المؤسسات الحكومية والمراكز التجارية أمراً شائعاً، وقد تحوّل في كرجستان وأرمينيا،

وأذربايجان وأزبكستان إلى مرض مُعَدِّ. الحكومة تكافح هذه المظاهر، الا ان نوع الحياة في الدول الغربية قد تسرَّب الى المجتمع السوفيتي بشكل لا يمكن الحيلولة دونه.

لقد أثبتت التجربة الناجحة في ايران أن إشراف الدين له تأثير عميق في زيادة التقوى الاجتماعية، خاصة الدين الذي يكون فيه الله مشرفاً على جميع الأشخاص ومحاسب الجميع دون استثناء، مما يؤدي الى ظهور تقوى عظيمة لدى الناس.

و بدون الأخذ بنظر الاعتبار عامل المذهب، لا يمكن - قط - توضيح التقوى في المجتمع الاسلامي الايراني.

ان انعدام هذا العامل القوي له تأثير كبير في ظهور الفوضى الاخلاقية في الاتحاد السوفيتي. وان الحياة في العالم الغربي الرأسمالي لها شبه ملحوظ بالحياة في العالم الشرقي الاشتراكي.

وكان يتوقع من المجتمع الاشتراكي ان يراعي الفضائل الاخلاقية الخاصة والعامّة، لكن هذا الأمر لم يحصل. وهنا أيضا يقف التصور والخيال حول الاخلاق الاشتراكية مقابل الواقع.

* نموذجان للثورة:

شهدت المرحلة الأخيرة حادثتين في المنطقة. ورغم انه لا يمكن المقارنة بينهما، الا انها تبيّنان اختلاف الماركسية مع الاسلام في مجال الثورة. وتمثل احدي هاتين الحادثتين بالثورة الاسلامية في ايران، فيما تتمثل الأخرى بالانقلاب الماركسي في افغانستان.

في الثورة الاسلامية كان الشاه وحلفاؤه الامبرياليون موضع انتقاد الناس. وكان المجاهدون المسلمون يشكلون القسم الأعظم من القوة المناضلة، ومن هنا كانوا يتعرضون للملاحقة والتعذيب والموت على يد جهاز السفاك. واطافة الى المجاهدين المسلمين، كان هناك اشخاص من الليبراليين والشيوعيين يطرحون انتقاداتهم من خلال تنظيمات كارتونية مختلفة.

وكان الشيوعيون بما فيهم عناصر حزب توده المنحل يعملون من خارج

البلاد. وعندما اشتعلت الثورة، تبين ان المجاهدين المسلمين بقيادة الامام الخميني يسيطرون بشكل تام على افكار الناس. وبقيادة الامام الخميني خاضت الجماهير بأيديها الخالية من السلاح كفاحاً ضد النظام الذي كان مدججا بالسلاح، متحملة المشقات والآلام والحسائر، وتمكنت في نهاية الأمر من أن تذيب الجبل الجليدي للنظام. فهرب الشاه من البلاد، وعاد الامام من المنفى، واقامت الثورة بسواعد ملايين الناس أسس نظامها المنشود.

ان الليبراليين والشيوعيين قد افتضحوا خلال سنيّ الثورة. وكانوا— في الحقيقة— عوامل للنزاع والاختلاف في داخل الثورة، ولم يكونوا ليهتموا بالثورة الاسلامية.

لقد كانت الثورة الاسلامية، ثورة شعبية بكل معنى الكلمة، انتصرت تحت لواء الاسلام وبقيادة الامام الخميني.

أما في أفغانستان، فان الجماهير لم يكن لها أي دور في ما يسمى بـ (الثورة). فالثورة، لم تكن— في الواقع— ثورة، بل انقلابا عسكريا نفذه الحزب الشيوعي. وسرعان ما بدأت الاختلافات تظهر بين جناحي الحزب الشيوعي أي جناح (پرچم) وجناح (خلق)، ورغم تبعيتها للاتحاد السوفيتي الا انها كانا مختلفين فيما بينهما. وبمرور الزمان خرج جناح (پرچم) من الساحة، ثم دخل الانقلاب مرحلة ثانية، حيث دخل جناح پرچم والجيش الروسي الى الساحة، فأبعدا جناح (خلق) عن السلطة وقُتِلَ حفيظ الله امين. وهذا ما يبين بوضوح انها قضية اقلية ليس لها أدنى نفوذ، وتخلق المشاكل الدولية الكبيرة لنفسها وللدولة التي تساندها.

ان انقلاب افغانستان واجه— منذ لحظة وقوعه— ضغوطا من جانب المجاهدين المسلمين، ومازال الكفاح قائما— حتى اليوم— ضد القوات الحكومية والقوات السوفيتية.

أما أسباب هذا الوضع فترجع الى ان الأيديولوجية الماركسية التي تفرض تأمر قوة ضعيفة على المجتمع، واجهت في المجتمع الاسلامي الافغاني مقاومة شديدة. ولن تحل الاضطرابات في افغانستان بهذه البساطة.

ان المقارنة بين الثورة الاسلامية في ايران والانقلاب الماركسي في افغانستان تثبت بطلان النظرية الماركسية التي تعتبر القوة والعنف ملاكا، وترفض المعنويات.

* التاريخ والجزم الماركسي:

ان كتب التاريخ التي تدرس في مدارس وجامعات الاتحاد السوفيتي والتي تطبع بالآلاف النسخ، وكذلك كتب التاريخ العامة والخاصة التي تؤلف هناك، تقسّم تاريخ البشر الى خمس مراحل، هي: المرحلة البدائية، ومرحلة العبودية، ومرحلة الاقطاع، ومرحلة الرأسمالية وبالتالي المرحلة الاشتراكية. ومع ان ذكر هذه المراحل الاجتماعية ليس جديدا من نوعه، الا ان وضعها الى جانب الأخرى وختمها بالمرحلة الاشتراكية، هما مسألة جديدة، لأن هذا الكلام يعني أن أي طريق نخطوفيه ينتهي - لامحالة - الى الاشتراكية!

وتلخيص العالم وما فيه بخمس مراحل، هو نوع من التصورات الجازمة. على سبيل المثال: إن آسيا وافريقيا السوداء وحضارتي «اينكا» و «آزتِك» في المكسيك وبيرو كانت لها مجتمعات معينة خاصة بها، وان روما واليونان وفرنسا واطاليا والمانيا وبريطانيا القديمة ليست نماذج لتلك المجتمعات.

والعبودية في اليونان وروما وخاصة في روما قدمثلت الى حد كبير مرحلة استثنائية. فنتيجة لهجرة قبائل «الجرمان» و «السلاف» ازداد عدد الرقيق في روما الى درجة أنه بدأ يستفاد منهم في جميع الحقول الانتاجية. وبمجيء نظام روما انتهت عبودية البيض. وهذا النظام لا يمكن له ان يكون نموذجا لآسيا. على سبيل المثال ان العبودية في ايران لم تكن تشبه العبودية في روما، إذ كانت أقل حدة. وان كبار المالكين او الاقطاعيين كانوا لا ينظمون أمورهم على ضوء ما كان يتم في فرنسا وبريطانيا مثلا، بالضبط مثلما لم يكن هناك مثل في الغرب لنظام الظلم الملكي الشرقي.

ان نظام البري خاصة في منطقة آسيا الغربية بما فيها ايران، لم يكن له مثل لافي اوروبا ولا في آسيا الشرقية.

وهناك نماذج أخرى. فلو نظرنا الى التاريخ المعاصر لرأينا ان الماركسية

عندما دخلت بلادنا قبل ٦٢ عاماً، كان النظام نظاماً عشائرياً (يحكم فيه مالكون صغار وكبار). حيث كان الكسب والتجارة في الأسواق يشكلان الحياة التقليدية. ومن هنا فإن التفكير في الصراع الطبقي بين العمال والرأسماليين من خلال التسليح بأيدولوجية معادية للدين في مثل هذه المرحلة هو كلام لا معنى له وفارغ أساساً. لذلك فإن الشيوعيين كانوا مطرودين من قبل المجتمع ولم يتمكنوا من النمو. وكان النضال الحقيقي في ذلك الوقت يتمثل بنضال «ميرزا كوچك خان» الذي كان يحمل شعار «الاسلام — الاستقلال — النضال ضد الشاه والمستعمرين».

واستناداً الى تقسيم التاريخ الى خمس مراحل، فإن الماركسيين يدرسون تاريخ دول العالم بما فيها ايران ثم يقومون الأشخاص والأحداث، مما يدفعهم هذا الأمر لارتكاب أخطاء كبيرة. على سبيل المثال نذكر كتابين تاريخيين ألفهما المؤرخون السوفييت. الأول هو كتاب «الاسلام في ايران»^{١١}. وهذا الكتاب يدرس الاسلام في بلادنا منذ الهجرة وحتى نهاية القرن التاسع الهجري.

ان عدم الاطلاع على المعارف الاسلامية الذي يكون اول شرط له متمثلاً باتقان اللغة العربية للاستفادة من المصادر، والسير وراء بعض المستشرقين المتخصصين بالعلوم الاسلامية للبحث عن نقاط ضعف معينة لإدانة الاسلام، واقامة الظواهر التاريخية على أسس أطلقت عليها تسمية المادية التاريخية، وعدم معرفة الروح الإسلامية وروح التشيع، أدت جميعها الى أن لا يدخل المنظر الخيالي لـ (بظروشفسكي) الى حيّز الواقع. هذا الشخص يذكر توضيحين ماركسيين للمجتمع العربي في السعودية في صدر الاسلام، الأول: اضمحلال النظام القبلي وسلطة رب الأسرة ومجيء العبودية الى الحجاز، والثاني: الاعتقاد بالتموالمطرود للعلاقات الاقطاعية، بشكل يوحي بان الاسلام كان ديناً لكبار الاقطاعيين في بدايته. ولكن لا النخاسون ولا الاقطاعيون يهتئون الأجواء لظهور الاسلام. وان مثل هذا التوضيح الماركسي يجعل من ظاهرة مذهبية معقدة — تشكل فصلاً جديداً في ظهور الانبياء الوجدانيين — ظاهرة بسيطة جداً.

وهذا المؤلف يشير في كتابه «ايران منذ العهد القديم وحتى القرن الثامن عشر الميلادي»^{١٢} الى مسألة تبين مدى جهله بالاسلام. ففي الصفحة (١٥٠) من

هذا الكتاب، يعتبر التوحيد والصلاة والزكاة والصوم والحج أصولاً للدين. وهذا خطأ كبير.

والكتاب الثاني هو «تاريخ إيران الحديث»^{١٣} بقلم المؤرخ السوفيتي ايفانوف. وهذا الكتاب ترجمه وأصدره حزب توده. فيما قمت أنا بكتابة مقدمة حول المؤلف وأثره من دون الإشارة الى أخطائه الكبيرة. على سبيل المثال ان الكاتب يقول في وصف ميرزا كوجك خان الذي كان يناضل من أجل الدفاع عن استقلال البلاد واقامة النظام الاسلامي والغاء الملكية وطرده الاستعمار:

(من جهة أخرى، ان ميرزا كوجك خان الذي كان تجسيدا لمصالح التجار، وصغار المالكين، بدأ مع تصاعد الثورة يعارض الإصلاحات الأرضية التي كانت قادرة على جذب الفلاحين نحو الثورة).
وحول (رضا خان) الذي وصل الى العرش على حساب دماء ميرزا كوجك خان وأمثاله، يقول الكاتب:

(في السنين الأولى من وصول العائلة البهلوية الى الحكم، اتُخذت بعض الاجراءات المفيدة لمصالح الأوساط البرجوازية، وذلك من أجل تقوية استقلال إيران).

و يصف الشهيد «مدرّس» الذي ناضل برجولة ضد رضاخان، وضحى بنسبه في هذا الطريق، بالرجعية، و يقول عنه:
(ان «مدرّس» كان شخصاً متنفذاً وشخصية رجعية معروفة، وكان يتزعم المعارضين للجمهورية).

مع العلم ان (الجمهورية) لم تكن سوى لعبة من جانب الانجليز و «رضاخان».

و (ايفانوف) هذا يعتبر الامام الخميني الذي أسقط النظام البهلوي، من علماء الدين الرجعيين المتعاملين مع القوى المالكة الرجعية، غير ان التاريخ يسخر ولطالما سخر من مثل هذه الادعاءات.

وهنا لانواجه جزماً وتفكيراً سلطوياً فحسب، بل نرى ان الألاعيب السياسية تجعل من التاريخ ألعوبة بيد الروس.

وفي مقابل الماركسية، يقف الاسلام. فخلال الثورة الاسلامية في إيران

هل الاسلام لواء الثورة، وحقق النصر للجماهير بشعار «الله أكبر». وهذا الاسلام لا يشبه الاسلام الذي كانوا يتحدثون عنه في عهد النظام الملكي. وعندما قال الامام الخميني: «انهم لا يعرفون الاسلام» فان الاسلام في ذلك الوقت لم تكن له ديناميكية حقيقية، كما لم يكن قادراً على الإعلان عن حقيقته.

لكن وخلال أربع سنوات من عمر هذه الثورة، أصبح الاسلام معروفاً، وان الجماهير التي كانت تتبعه برغبة شديدة، رأت أحلامها وآمالها كامنة في هذا الاسلام. لذلك يجب البحث عن دليل وحده الأغلبية الساحقة من الناس وانسجامها ورغبتها الشديدة في الحقيقة التالية، وهي: أن الجمهورية الاسلامية تأسست بفضل قيادة الامام.

ان المؤسسات الاسلامية ظهرت بتأييد الأغلبية الساحقة من الجماهير، حيث لبّت الجماهير المليونية نداء الامام الخميني. وفي الحقيقة ان شمولية هذه الثورة لا مثيل لها في التاريخ.

رعب الشرق والغرب من الثورة الاسلامية في ايران:

ان درجة التضحية والشهادة والايثار خلال الحرب والثورة والنضال — سواء من قبل الجماهير أو من قبل المسؤولين — لم يكن لها نظير، وان الأصول الدينية والسياسية والاجتماعية للثورة الاسلامية مثل؛ ولاية الفقيه، والجمهورية الاسلامية، ومجلس الشورى الاسلامي، والتصدي للاستكبار العالمي، وحماية مستضعفي المجتمع، ومبدأ «لا شرقية لاغربية» قد حظيت بتأييد الأكثرية الساحقة من الجماهير. اما صمود الثورة الاسلامية فيعزى الى تلاحم الامام والأمة، اي القيادة والجماهير.

ويتمثل المبدأ الاساسي لسياسة الجمهورية الاسلامية الخارجية بمبدأ «لا شرقية لاغربية». وهذا المبدأ هو ضد توسع القوة العظمى الغربية أي الامبريالية الاميركية، والقوة العظمى الشرقية أي الاتحاد السوفيتي.

وفي الوقت الذي تخوض الجمهورية الاسلامية نضالاً ضد الامبريالية الأميركية في المنطقة وفي «اسرائيل» ولبنان والعراق، وضد الاتحاد السوفيتي في افغانستان والعراق، فان الارادة القوية للشعب الايراني المؤمن تستلزم النضال ضد

هاتين القوتين العظميين اللتين لها جذور كثيرة في العالم.
ان مبدأ «لاشرقية لاغربية» هو أساس متين لاستقلال ايران. ففي ظل
هذا المبدأ فتحت ايران الاسلام صفحة جديدة ومشرفة من تاريخ البلاد والعالم،
واليوم فان الثورة الاسلامية في ايران تثير قلق الشرق والغرب ورعبها. انها يخشيان
أن يؤدي التأثير العميق لهذه السياسة في العالم المضطهد الى تقليص نفوذها بمرور
الزمن.

الاتحاد السوفيتي يحمي البهلويين وصدماً:

ان الشعب الايراني مستاءً من سياسة الاتحاد السوفيتي، فلو تصفحننا
التاريخ لرأينا ان الدبلوماسية السوفيتية كانت في اكثر الأحيان معادية لآمال هذا
الشعب وطموحاته. على سبيل المثال لِنترَ كيف جاء رضاخان الى السلطة؟
كان رضا خان عميلاً للامبريالية البريطانية، غير أنه استطاع بمساعدة
الاتحاد السوفيتي والاييرانيين المرتبطين بهذا البلد ان يهيئ الأجوأ اللازمة للترع
على العرش ويسلط الخيانة البهلوية على بلادنا لمدة ٥٧ عاماً.
وبعد «رضا خان» بدأ ابنه محمد رضا يحظى هو الآخر بمساعدات الاتحاد
السوفيتي. وقد دعي محمد رضا واخته اشرف عدة مرات لزيارة الاتحاد السوفيتي،
في حين ان اكثر معارضي النظام الدكتاتوري كانوا يعذبون ويموتون على يد جلاوزة
الشاه.

وخلال عهد الجمهورية الاسلامية، بدأ الاتحاد السوفيتي بتسليح نظام
صدام المجرم.

ولقد أدى القصف العراقي بالقنابل والصواريخ الى هدم مدن: مسجد
سليمان، ودفبول، وبهبان، ومريوان، وسردشت، وبانه، ونهاوند، ورامهرمز
وأنديشك.

ان صداماً قام في ظل تسليحه من قبل القوى الكبرى — من جملتها الاتحاد
السوفيتي — بقتل مئات الآلاف من الناس الأبرياء والفقراء. ونتيجة للهجمات
الصاروخية سقط الاطفال الأبرياء في المدارس مضرجين بدمائهم.
في بداية الحرب التزم الاتحاد السوفيتي سياسة الحياد ازاء المعتدي (أي

صدام و حكومته البعثية) وازاء الجمهورية الاسلامية، في حين ان الحياذ ازاء المعتدي والمدافع هو في الحقيقة تأييد للمعتدي. وبمرور الزمن انكشف الستار عن هذه السياسة وبدأ الاتحاد السوفيتي يدافع علانية عن صدام.

ان المعاهدة التي أبرمت بين العراق والاتحاد السوفيتي لمدة خمسة عشر عاما تحدد في الظاهر استخدام الاسلحة التي يبيعها الاتحاد السوفيتي لصدام، غير ان هذا الكلام ليس الاشعارا وادعاءً باطلا. على سبيل المثال ان هذا القانون كان يُرعى بشكل أكيد حول سوريا في دفاعها عن وادي البقاع امام اسرائيل، غير أنه لم تتم توصية العراق بعدم استخدام السلاح ضد ايران. وفي افغانستان وهدف دعم النظام الذي لا يحظى بتأييد الشعب، انزل الاتحاد السوفيتي قواته في هذه البلاد، وهوواصل منذ عدة سنوات حربه ضد المجاهدين المسلمين.

هذه السياسة لاقت استنكارا عالمياً وحتى من قبل الذين لا يعادون ولا يعارضون الاتحاد السوفيتي.

وخلال النشاطات الأخيرة لحزب توده المنحل، فان تجسس الاتحاد السوفيتي على حكومة الجمهورية الاسلامية كان مجد ذاته جريمة سافرة، اما التجسس في اطار حزب يدعي الصداقة مع الاتحاد السوفيتي فهو جريمة أخرى لا يمكن السكوت عليها مطلقاً. ومن هنا فان الشعب الايراني يرفض وبشدة دبلوماسية القوة العظمى الشرقية من كل جوانبها. ولهذا السبب فان شعار «الموت للاتحاد السوفيتي» الاستراتيجي ينطلق جنباً الى جنب مع شعار «الموت لأمركا».

التغيير الذي حصل في داخلي:

مثلاً قلت مسبقاً فان التغييرات التي طرأت على حزب توده المنحل، أدت الى تغيير معنوياتي، حيث بدأت اليوم أخطو في طريق الاسلام. والشخص الذي يعترف بالاسلام و يقبله، عليه قبل كل شيء ان يعترف بوجود الباري تعالى. وهناك طرق متعددة لاثبات وجود الله، بعضها عقلية، وبعضها الآخر شهودية وعاطفية، وهناك أيضاً طرق عقلية وفي نفس الوقت عاطفية. و يوجد من

بين هذه الطرق، طريق أساس بيّنه القرآن الكريم، وهولفت أنظار العباد الى الآيات والعلامم الموجودة في السماء والأرض والتي تحكي عن قدرة غيبية عظيمة، ويؤدي التدبر فيها الى التذكر والتعقل.

ومن الآيات البيّنات لوجود الله هي مايسمها العرفاء مبدأ السبب والمسبب، إذ ان أساس الخلقة يقوم على السببية والعلية. وهذه العلية تأتي من ناحية العلم المحدود للانسان الذي لا يرى الأشياء الخفية. فقد تتوفر أسباب كثيرة لوقوع حادثه، ولكنّ العلة النهائية المتمثلة بالفاعل المقتدر قد تزيل تلك الأسباب. أو لا يكون هناك في بعض الأحيان سبب — في الظاهر — لوقوع حادثه ما، إلا أن الفاعل المقتدر يفعل ذلك الأمر وسط دهشة العالم، حيث ينتخب من بين الحوادث، ومن بين الأسباب والعلل واحدة فقط و يسوق هدايته المتناسبة مع الغائية في ذلك المسير. وفي هذا النوع من الإستدلال يكون العقل مرافقاً للقلب، ولا ينفصل السلوك العقلي عن السلوك القلبي والعاطفي.

لقد وقعت الثورة الإسلامية في وقت كانت فيه ايران غارقة في الكفر والفساد وأسيرة بيد النظام الملكي والامبريالية الأميركية. لذلك فإنّ ظهور الاستعداد والتحول في معنويات الناس لقبول الشهادة والتضحية والإيثار كان في الحقيقة حادثه محيرة ومعجزة، لم يثر دهشة النظام الدكتاتوري السابق فحسب، بل أثار دهشة العالم أجمع. وهذه الثورة تشكل نموذجاً لنظام السبب والمسبب. كما ويمكن عزو سبب فشل جميع الحكومات والفئات بما فيها حزب توده المنحل في القضاء على الثورة الاسلامية الى نظام العلية أيضاً. فهناك يد أقوى من جميع الأيدي، تجعل المستحيل — بنظر البعض — ممكناً، وتمنع وقوع أمر يراه البعض قابلاً للوقوع. وهذه ليست أموراً يمكن للعقول العادية ان تدركها، بل هي أعلى من ذلك. وفي مبدأ العلة والمعلول أو السبب والمسبب الذي نسميه آية الهية، يمكن لنا عبر تحقق هذه الحكومة الإلهية، والعظمة العرفانية لشهادة الناس، والقيادة الحكيمة للإمام أن نشاهد التجلي الإلهي.

إنّ الجمهورية الإسلامية لم تعتبر العبادة والسياسة من وظائف المسلمين فحسب، بل أضفت على الأمور العبادية طابعاً سياسياً. فالأمور العبادية في مجتمع يكون الدين فيه منفصلاً عن السياسة ليست إلاّ أموراً خاصة بالمؤمن، لكن حين

يتبدل الدين الى آيدولوجية حاكمة، تصبح الواجبات والآداب العبادية آنثذ ذات أبعاد عظيمة، وتبدأ بتنظيم تصرفات الناس، وتشكل قدرة روحية ومعنوية للعمل والحرب والدراسة والتحقيق.

في مثل هذه الحالة لا تكون الواجبات والآداب العبادية أموراً خاصة أو ثواباً فردياً، بل هي وظيفة تقوم الحكومة الإلهية من خلالها بارشادنا الى الطريق الذي تراه صحيحاً. وهذا الإشراف لا يتم في داخلنا بواسطة مسؤولي الحكومة، بل بمساعدة الإيمان الديني. أما منشأ هذا الإيمان الديني فهو فطرة الانسان أو شعوره الخفي الذي يوجد حب الله في نفسه.

ولم تكن هناك — والى هذا اليوم — حكومة تملك مثل هذا الإشراف الداخلي في بواطن أتباعها. ومثل هذا الإشراف يوجد سلسلة من الفوائد التي تعمل على توفير التنسيق والصلح والصفاء بين الإنسان والعالم من جهة وبين الإنسان والإنسانية من جهة أخرى، وبذلك تصبح الأمور العبادية في ظل الجمهورية الإسلامية ذات أبعاد سياسية واسعة، مما تساعد على سمو الأخلاق الإجتماعية وظهور الالتزام والزهد بين المؤمنين أزاء أنفسهم وأزاء ولاية الفقيه. وهذا الأمر يضيف بُعداً معنوياً مجتمعا، لا يمكن للعبادات المنفصلة عن السياسة ولا السياسة المنفصلة عن العبادات أن تحلَّ محله.

وبواسطة هذا الإشراف المعنوي الذي تعتبر القدسية خصيصة مميزة له، تستطيع الجمهورية الإسلامية أن تدَّعي بأنها تسيطر على قلوب الناس، بحيث يتعاطفون معها من الصميم.

والآيدولوجية الماركسية لن تستطيع في أي بلد كان أن تنال هذه المنزلة، وهذا أمر ثبتت حقيقته خلال السنين الأخيرة.

نصيحة الى الشباب:

وفي الختام أريد أن أتحدث بعض الشيء الى الشباب، خاصة الذين لهم ما يسمى بالمبول اليسارية.

أنظروا المصير الذي آل اليه حزب توده المنحل بعد أربعين سنة. إنه

أنتهى الى التجسس، وتشكيل منظمة سرية، والسعي للإطاحة بالجمهورية الإسلامية، وبالتالي الفشل والسقوط. وهذا هو مصير الحزب الذي آختر لنفسه المؤامرات والازدواجية.

إنَّ التنظيمات التي تبقى منزوية، وتخطو في طريق غير طريق الجماهير، تضطر—لا محالة—للسير في طريق غير صحيح.

الثقافة الإسلامية، ثقافة غير محدودة:

أثبتت التجارب التاريخية أن الماركسية لم تستطع أن تفعل شيئاً في بلادنا. وإن التوعية الماركسية سواء من ناحية المباحث الفلسفية، أو من الناحية الاجتماعية لن تعود علينا بأية فائدة، لأنها عقيمة وغير مثمرة.

إنَّ أول ماتقوم به الماركسية هونفها للدين. وهذا مايشل حركتها، إذ أن علاقتها بالناس المسلمين والمؤمنين تنقطع كلياً في مثل هذه الحالة، ومهما أطلقت من شعارات بعد ذلك فلن يصدقها الناس مطلقاً.

وفي عهد النظام السابق، وفي ظل دكتاتورية العائلة البهلوية وضغوط أميركا، كانت الإشتراكية شمعة كاذبة، لم تجذب اليها سوى عدد من الجهلة. لكن وبعد أن سطعت شمس الثورة الإسلامية، فن العث أن نستبدل جوهرتنا ببضاعة غير معروفة.

انفتحوا على الثقافة والمعارف الإسلامية، ففي الثقافة الإسلامية العميقة مجال واسع وفاض للمطالعة والتعلم والنضال والعمل. وإن الرجال العطاء أمثال الفارابي وابن سينا والسهرووردي والخواجه نصيرالدين الطوسي وميرداماد وملاصدرا والسبزواري وأمثالهم، كل هؤلاء غرضوا الفلسفة الإسلامية على الراغبين فيها.

ومن بين هؤلاء يعتبر صدرالدين الشيرازي المشهور بـ «ملاصدرا» معلماً من الدرجة الأولى للشباب الذين يريدون دراسة فلسفة بديعة ومنطقية وعميقة ومنقطعة النظر.

ويمكن في مجال الفلسفة الإسلامية الاستفادة كثيراً من آثار المؤلفين المعاصرين مثل العلامة الطباطبائي والشهيد المطهري والاستاذ محمد تقي الجعفرى

والشخصيات الأخرى. وبالخصوص يلزم قراءة عشرات الآثار القيّمة التي تركها لنا الشهيد المطهري، لأنّ الشهيد المطهري عرض في آثاره، الأيديولوجية الإسلامية بشكلٍ كاملٍ ودافع عنها حق دفاع.

والثقافة الإسلامية الواسعة غير محددة بالفلسفة فقط، لأنها تشمل مجالات مختلفة. وأينا تذهبوا تروا ثقافتكم ومعارفكم، لكنكم غرباء في أجوائها. إنها تساعدكم على التحرر من الثقافات الغربية والشرقية الفارغة. أما الإنغماس في المباحث الماركسية الجدلية فيؤدي الى الإبتعاد عن الثقافة والمعارف الإسلامية ويدل على أنّ فاعله لا يريد أن يكون مفيداً لشعبه ومعتقداته الدينية، وهو من عداد فئة صغيرة تتحدث بلغة غير مفهومة، وتشعر بالارتياح لأنّ الناس لا يفهمون لغتها.

والثقافات الأجنبية تفصل الانسان عن ثقافته الدينية والايرانية. فخلال السنوات الخمسين الماضية قامت الثقافات الغربية والشرقية، مع السياسات الاستعمارية بتجريد حياتنا المعنوية من الأصلة الحقيقية، وبذلك أصبحنا غرباء عن ثقافتنا.

في ثقافتنا الأصيلة يعتبر التعرف على الملاصدرا واجبا ملزماً للأشخاص الذين لهم رغبة شديدة في المباحث الفلسفية، لأنّ أهم وأروع مبحث في فلسفة الملاصدرا هو ربط الطبيعة بماوراءها، وعرض هذه المسألة المعقدة بأسلوب بسيط. والفلسفة المادية التي تبعد الانسان عن الحقائق الأصيلة وذلك بانكارها لمسألة العلاقة بين الطبيعة وماوراء الطبيعة، هذه الفلسفة تعمل على سقوط الانسان منذ اللحظة الأولى.

ومن أراد أن يتفاعل مع الناس، ويكون معهم، فإنّ التجاوب الفكري معهم هو شرط مهم في هذا المجال. غير أن المادية التاريخية تطرح نظريةً حول المجتمع والتاريخ بشكل تقطع معه منذ البداية أية صلة بالناس.

إنّ تاريخ الصراع الطبقي يمكن تلخيصه بعدة نماذج، مثل نضال اسبارتا كوس، وفاتيلور، وتوماس وينسر، وبوكاجو. ومع أنّ في الشيعة شخصيات مرموقة، ضحّت في سبيل الله والانسانية فإن المادية التاريخية لم تشر مطلقاً الى أيّ منهم.

وأبناء شعبنا لا تربطهم علاقة قلبية بهؤلاء الشهداء فحسب، بل هم
— مثلما أثبتت تجارب الثورة الاسلامية — مستعدون للتضحية بأنفسهم في سبيل
الثورة والجمهورية الاسلامية.

وان الدم والشهادة لن يصلا الى المنزلة التي وصل اليها الإمام الشهيد أبو
عبد الله الحسين «ع».

النتيجة:

والآن الخُص نتيجة هذه الاستدلالات ببعض العبارات:
إنني سرت في طريق الماركسية منذ بداية شبابي وحتى يومي هذا برغبة
شديدة، لكنني لم أتحقق شيئاً. فأطرافي كانت مليئة إما بالخيانة وإما بالضلالة.
فلا الخائن يصل الى نتيجة ولا الانسان الضال يحقق هدفاً. والماركسية في النظرية
والتطبيق هي جبل من الأخطاء التي يعرضها تاريخ الحزب الشيوعي الايراني
وحزب توده المنحل.

أنتم يا جيل الشباب الذين لكم رغبة في السياسة، انظروا جيداً أي
شخص يتحدث أمامكم. لا يمكن القول إنه (يقصد نفسه) لايعي الماركسية ولم
يرها في التطبيق. انه أمضى أربعين سنة في حزب توده المنحل. انه نجا من مكائد
كثيرة، وتحمل ألوان المصائب، وها هو اليوم يتحدث اليكم عن تلك المشاهد
والأقوال.

إن وقوع حزب توده المنحل في الأخطاء تلو الأخرى، هو ذنب لا يغتفر،
كما أن السير من جديد في طريق الماركسية هو ذنب أكبر. ولذلك فاني باعتباري
أحد أعضاء حزب توده المنحل اغتم هذه الفرصة لأحذر المستمعين من الطريق
الذي سرت فيه والذي لم أجن منه سوى المصائب.

وبقدر ماتكون المعرفة العلمية للعالم والمجتمع ضرورية لجيل الشباب، فإن
هذا الجيل يحتاج الى الإيمان بشدة. والايمان حاجة ملحة لا تنشأ من المحيط المادي،
بل من المحيط الروحي والمعنوي، ان الاسلام هو الذي يوجد الإيمان لدى الإنسان.
والنتيجة الحاصلة هي وجوب السير في طريق واسع يكون فيه الامام والشعب
متلاحمين. سيروا في طريق يمضي فيه الجميع نحو الفخر والعزة والحقيقة والنصر،

ولا تسيروا في طريق منحرف، لأنَّ مثل هذا الطريق يكون مليئاً بالوحوش المؤذية والأشخاص المتحايِلين. سيروا في الطريق الواسع الذي تسير فيه الجماهير المليونية وراء قائدها.

هذه هي نصيحتي القلبية لكم، آملاً أن تجد مكاناً لها في قلوبكم الطاهرة، وتلفت نظركم الى واجباتكم الدينية والوطنية، لتمضوا جميعاً نحو الاستقلال والحرية والجمهورية الاسلامية وتبدلوا التضحيات في هذا الطريق العظيم.

وبديهي أن المصير المحتم لجميع الأحزاب والمنظمات الكارتونية التي تفتقر الى العقيدة الإلهية، وليست لها قاعدة بين الناس، لن يكون سوى التبعية والخيانة والتجسس، وبالتالي السقوط والاضمحلال. والمنافقون والليبراليون وبقية التنظيمات والأحزاب اليسارية واليمينية الخائنة هي نموذج لذلك. واستناداً الى هذا الأصل فان المنافقين أصبحوا بعد التجسس لصالح الاتحاد السوفيتي من خلال «سعادتي»^٤ آلة بيد الإمبريالية الأميركية.

إنَّ القاء نظرة على الطريق الذي سرت فيه، يدعو الى العبرة، ويوجد الشعور بالحزن والأسى والأسف والندم لدى الشخص. فلقد ضاع عمر طويل، ولا يمكن بعد الآن التفاؤل بهذه الحياة التعسة.

علينا أن نتضرع للإمام الخميني ونطلب العفو منه على ما قننا به، ونستفيد من ارشاداته القيِّمة.

«إلا الذين تابوا وأصلحوا وبَيَّنوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب

الرحيم».

الهوامش:

- ١ - والد الشاه المقتور محمد رضا بهلوي.
 - ٢ - اول سكرتير عام لحزب توده.
 - ٣ - بالفارسية: «نوشتهای فلسفی».
 - ٤ - بالفارسية: «بررسیهای درباره جهان بینی ها و جنبشهای اجتماعی در ایران».
 - ٥ - بالفارسية: «ایران در دوسده واپسین».
 - ٦ - بالفارسية: «بنیاد آموزش انقلاب».
 - ٧ - سبقت الاشارة الى هذه الكتب في باب «حياتي ودراساتي».
 - ٨ - كلمة فارسية معرّبها «المحكمة».
 - ٩ - كلمة فارسية معرّبها «البهايون».
 - ١٠ - طبع أخيراً من قبل منظمة الاعلام الاسلامي باسم «الرؤية الكونية التوحيدية».
- GENETICS °
- CYBERNETICS °°
- ١١ - الكتاب باللغة الروسية لـ «بشوروشوفسكي» وقد ترجم الى اللغة الفارسية وطبع باسم «اسلام در ايران».
 - ١٢ - بالفارسية: «ایران از دوران باستان تا سده هيجدهم ميلادی».
 - ١٣ - بالفارسية: «تاريخ نوين ايران».
 - ١٤ - محمد رضا سعادي من قادة منظمة «مجاهدي خلق» حكم عليه بالسجن لعشر سنوات بتهمة التجسس لصالح الاتحاد السوفيتي، وفي السجن دبر عملية اغتيال احد حراس الثورة فحكم عليه بالاعدام ونفذ الحكم فيه. وقد اعترف بتجسسه لصالح الاتحاد السوفيتي وأنه كان بايعاز من المنظمة المذكورة.

١٠	العلم كرم	١٠
١١	طلب نور البصير	١١
١٢	العلم الواسع	١٢
١٣	العلم بالانحلال والوحدة	١٣
١٤	العلم في مراكز الدولة	١٤
١٥	علاقة بين صديق المعلمين	١٥
١٦	علاقة بين التوجه الاسلامي الى البصير	١٦
١٧	بعض الافكار	١٧
١٨	بعض الافكار	١٨
١٩	بعض الافكار	١٩
٢٠	بعض الافكار	٢٠
٢١	بعض الافكار	٢١
٢٢	بعض الافكار	٢٢
٢٣	بعض الافكار	٢٣
٢٤	بعض الافكار	٢٤
٢٥	بعض الافكار	٢٥
٢٦	بعض الافكار	٢٦
٢٧	بعض الافكار	٢٧
٢٨	بعض الافكار	٢٨
٢٩	بعض الافكار	٢٩
٣٠	بعض الافكار	٣٠
٣١	بعض الافكار	٣١
٣٢	بعض الافكار	٣٢
٣٣	بعض الافكار	٣٣
٣٤	بعض الافكار	٣٤
٣٥	بعض الافكار	٣٥
٣٦	بعض الافكار	٣٦
٣٧	بعض الافكار	٣٧
٣٨	بعض الافكار	٣٨
٣٩	بعض الافكار	٣٩
٤٠	بعض الافكار	٤٠
٤١	بعض الافكار	٤١
٤٢	بعض الافكار	٤٢
٤٣	بعض الافكار	٤٣
٤٤	بعض الافكار	٤٤
٤٥	بعض الافكار	٤٥
٤٦	بعض الافكار	٤٦
٤٧	بعض الافكار	٤٧
٤٨	بعض الافكار	٤٨
٤٩	بعض الافكار	٤٩
٥٠	بعض الافكار	٥٠

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣	مقدمة
٧	تاريخ حزب توده
١١	المرحلة الأولى: تأسيس الحزب الشيوعي الايراني
١٢	• ارتباط الشيوعيين بالسياسة السوفيتية
١٤	• خيانة الشيوعيين لحركة الغابة
١٥	• دعم الشيوعيين لحركة رضاخان
١٧	المرحلة الثانية: تأسيس حزب توده
١٨	• حزب توده وامتياز نفط الشمال
١٩	• موقف حزب توده من انفصال آذربايجان الايرانية
٢٠	• اشتراك حزب توده في حكومة قوام
٢١	• موقف حزب توده والدولة (الأم) من تأميم النفط الايراني
٢٣	• اثارة الاضطرابات بوجه الحكومة الوطنية
٢٧	المرحلة الثالثة: مرحلة البطالة
٢٧	• حزب توده يعترف
٣٠	• انهزام القيادة
٣١	• تبيد طاقات الامة الاسلامية
٣٣	• توده يمهد للسيطرة الأميركية
٣٤	• حزب توده يساند سلطة الشاه
٣٥	• الساواك يقود توده
٣٧	المرحلة الرابعة: توده في مواجهة الاسلام والجمهورية الاسلامية
٣٨	• حزب توده والاسلام
٤٢	• نشاطات حزب توده في هذه المرحلة - اعادة التنظيم
٤٣	• الدعوة الى الكفاح المسلح
٤٤	• الاعلان عن تأييد نظام الجمهورية الاسلامية

٤٥	اعلام توده
٤٦	جذب قوى اليسار
٤٨	اقتعال الواجحات
٤٨	التظاهر بالاخلاص والوطنية
٤٩	النفوذ في مراكز الدولة
٥٠	محاولة شق صفوف المسلمين
٥٠	محاولة جز الثورة الاسلامية الى اليسار
٥١	اجتراق الاوراق
٥١	ورقة الفكر الثوري
٥٢	ورقة محاربة أميركا
٥٣	ورقة مناصرة الكادحين
٥٤	ورقة الدفاع عن الاتحاد السوفيتي
٥٤	ورقة الدفاع عن الجمهورية الاسلامية
	الانخبار التام
	(رقبة ناسخ) (اصلا على سبعة اعمقها اثنان ثلثها)
٦٣	٥ به آذين يعترف
٦٦	٥ اعترافات كيانوري
٦٩	٥ خمسة من اعضاء اللجنة المركزية يعترفون
٦٩	٦١ الاول: قائم حسن بناء
٧٠	٥ مواقف السوفيت المصلحية
٧٢	٦١ خيانة الحزب للثورة الاسلامية
٧٣	٦٢ الثاني: رفعت محمدزاده
٧٣	٦٢ الثالث: احمد علي رسدي
٧٤	٦٢ الرابع: كاكيك اوانسيان
٧٤	٦٢ الخامس: كيومرت زرشناس
٧٥	٥ اعترافات محمد علي عموي
٧٦	٦٢ اعلان حل حزب توده
٧٦	٦٢ نداء الى انصار الحزب
٧٩	٦٢ * اعترافات الطاولة المستديرة
٧٩	٦٢ الحلقة الاولى: حول تاريخ الحزب
٨٤	٥ ضحيج الاعلام المضاد
٨٧	٥ اسباب سقوط توده
٩١	٥ فضائح حزب توده

- ٩٣ جمهورية آذربايجان الديمقراطية
- ٩٥ الشيوعية وايران
- ٩٧ * الحلقة الثانية: التجسس
- ٩٩ الحزب العربة بيد السوفيت
- ١٠٠ في السجن واجهنا الحقيقة
- ١٠١ السوفيت يطلبون معلومات عسكرية خاصة
- ١٠٣ الشيوعية ترفض القيم
- ١٠٨ السياسة المصلحية لا المبدئية
- ١١١ * الحلقة الثالثة: مواقف حزب توده من الثورة الاسلامية
- ١١٢ الاهداف التكتيكية للحزب
- ١١٣ الاهداف الاستراتيجية للحزب
- كلمة الختام لعمومي
- ١٢٤-١١٩ الهوامش
- ١٢٥ الاعترافات الكاملة لـ(منظر حزب توده المنحل) (احسان طبري)
- حياتي ودراساتي
- ١٣٠ الملف الاسود لحزب توده
- ١٣١ الفكر الماركسي مليء بالخداع
- ١٣١ الكتب التي ألقتها حول الاسلام مزيفة
- ١٣٢ تأمر الشرق والغرب على الاسلام
- ١٣٣ لماذا أنقذ الماركسية؟
- ١٣٤ هل هناك صحة لادعاء عملية الماركسية
- ١٣٧ الميكافيلية
- ١٣٩ الحزب
- ١٤١ الاممية
- ١٤٣ الاخلاق في الاتحاد السوفيتي
- ١٤٤ نمودجان
- ١٤٦ التاريخ والجزم الماركسي
- ١٤٩ رعب الشرق والغرب من الثورة الاسلامية في ايران
- ١٥٠ الاتحاد السوفيتي يحمي البهلويين وصداما
- ١٥١ التغيير الذي حصل في داخلي
- ١٥٣ نصيحة الى الشباب
- ١٥٤ الثقافة الاسلامية ثقافة غير محدودة

١٥٦	• النتيجة
١٥٨	• الهوامش





Elmer Holmes
Bobst Library

New York
University

NYU - BOBST



31142 01381 6809

JQ1789.A8 H87 1984 Suqut Hizb Tudah : ard tahilli